



دُرُّ رَمَضَانِيَّةُ

ثَلَاثُونَ مَجْلِسًا فِي رَمَضَانَ

إِعْدَادُ

الْقِسْمِ الْعِلْمِيِّ بِمُؤَسَّسَةِ الدُّرِّ السَّنِيَّةِ

إِشْرَافُ

عَلَوِيِّ بَرِّعِبْدِ الْقَاوِرِ السَّقَّافِ

الفهرس

- مُقدِّمة..... ٣
- ١- رَمَضَانُ فَضَائِلٌ وَخَصَائِصٌ ٥
- ٢- مُقدِّماتٌ عن صَوْمِ رَمَضَانَ ١١
- ٣- مُفَطَّرَاتُ الصَّائِمِ (١) ١٦
- ٤- مُفَطَّرَاتُ الصَّائِمِ (٢) ٢٠
- ٥- ما يُكرَهُ للصَّائِمِ وما يُباحُ له ٢٤
- ٦- أهلُ الأعدارِ ٢٩
- ٧- الفِطْرُ والسُّحُورُ أَحكامٌ وآدابٌ ٣٥
- ٨- رَمَضَانُ والقُرْآنُ ٤١
- ٩- رَمَضَانُ فُرْصَةٌ للتَّغْيِيرِ ٤٦
- ١٠- رَمَضَانُ وتربيةُ الأولادِ ٥٢
- ١١- فاستَبِقُوا الخَيْرَاتِ (١) ٥٩
- ١٢- فاستَبِقُوا الخَيْرَاتِ (٢) ٦٥
- ١٣- أخلاقُ الصَّائِمِينَ (١) ٧١
- ١٤- أخلاقُ الصَّائِمِينَ (٢) ٧٧
- ١٥- الوِقَايَةُ من فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ (١) ٨٢
- ١٦- الوِقَايَةُ من فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ (٢) ٨٨
- ١٧- انتِصاراتٌ وفتوحاتٌ رَمَضَانِيَّةٌ (١) ٩٤
- ١٨- انتِصاراتٌ وفتوحاتٌ رَمَضَانِيَّةٌ (٢) ١٠١
- ١٩- في رحابِ آياتِ الصَّيَامِ ١٠٦
- ٢٠- ودخلتِ العَشْرُ ١١٤
- ٢١- ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ١٢٠
- ٢٢- في رحابِ سُورَةِ القَدْرِ ١٢٥
- ٢٣- لعلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ١٣٠
- ٢٤- رمضانُ والتَّوبَةُ ١٣٦
- ٢٥- تعظيمُ قَدْرِ الصَّلَاةِ ١٤١
- ٢٦- في ظِلِّ الصَّدَقَةِ ١٤٧
- ٢٧- زكاةُ الفِطْرِ ١٥٥
- ٢٨- ماذا بَعْدَ رَمَضَانَ؟ ١٦٠
- ٢٩- عيدُ الفِطْرِ ١٦٦
- ٣٠- وداعًا رَمَضَانَ ١٧٣

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَ هُدَاهُ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ أَهْمِيَّتَهُ، وَيَعْلَمَ فِضَائِلَهُ، وَيُهَيِّئَ نَفْسَهُ لِاِغْتِنَامِ أَيَّامِهِ وَلِيَالِيهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَيُبَادِرَ إِلَى مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ.

وَإِنْطِلَاقًا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَبَيْنَ يَدَيْكَ أَخِي الْكَرِيمِ كِتَابٌ ((دُرُرُ رَمَضَانِيَّةٌ)) وَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى أَهَمِّ مَا يَحْتَاجُهُ الْمُسْلِمُ فِي رَمَضَانَ مِنْ تَعْرِيفٍ بِمَا لِهَذَا الشَّهْرِ مِنْ فِضَائِلٍ وَخِصَائِصٍ، وَعَلَى بَعْضِ الْأَحْكَامِ الْفَقْهِيَّةِ الْمُخْتَصِرَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالصَّيَامِ وَأَرْكَانِهِ، وَالْمُفْطَّرَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ تَجَنُّبُهَا، وَمَا يُبَاحُ لَهُ وَمَا يُكْرَهُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْفِطْرِ وَالسُّحُورِ مِنْ أَحْكَامٍ وَأَدَابٍ، وَمَنْ يُرَخِّصُ لَهُمْ فِي الْفِطْرِ (أَهْلُ الْأَعْدَارِ)، بِالْإِضَافَةِ إِلَى التَّذْكِيرِ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ وَصَلَاةِ الْعِيدِ، وَأَهَمِّ أَحْكَامِهَا وَأَدَابِهَا، وَبَيَانِ أَهَمِّ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَا خَاصَّةً فِي رَمَضَانَ، كَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالِدُّعَاءِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الصَّائِمُ مِنْ أَخْلَاقٍ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَوْضُوعَاتٍ أُخْرَى تَتَعَلَّقُ بِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ.

وَرِغْبَةً فِي تَيْسِيرِ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ، فَقَدْ جَرَى الْعَمَلُ فِي الْكِتَابِ وَفَقَّ الْآتِي:

١- جُعِلَتْ موضوعاتُ الكتابِ في ثلاثينَ مَجْلِسًا مُوزَعَةً على أَيَّامِ الشَّهِرِ.

٢- صُدِّرَ الكِتَابُ بفهرسِ الموضوعاتِ، ويُمكنُ للقارئِ من خلالِ جهازِه بمُجَرَّدِ الضَّغْطِ

على أيِّ موضوعٍ من الموضوعاتِ أن يَنْتَقِلَ إلى المَوْضِعِ الذي يُريدُه، مَعَ رَبْطِ كَثِيرٍ مِنَ

المَوْضوعاتِ والأحاديثِ في الكِتَابِ بموضِعِها في مَوْضِعِ الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ، لَمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ.

٣- رُوعِي أن يَكُونَ الكِتَابُ بثلاثةِ أحجامٍ متنوعَةٍ تَصْلُحُ للطباعةِ وللأجهزةِ المُخْتَلِفَةِ،

كالجوّالِ والآيباد؛ رغبةً في نَشْرِ هذا الكِتَابِ إلى أكبرِ عَدَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، وتعميمِ النِّفْعِ بِهِ.

٤- توضيحُ العناوينِ والآياتِ والأحاديثِ بألوانٍ مميّزةٍ لها.

والكِتَابُ أُعِدَّ لا ليقْرَأَهُ المُسْلِمُ في نَفْسِهِ فقط، بل ليقْرَأَهُ على غَيْرِهِ، خاصَّةً أئمةَ المساجدِ

والخطباءِ وطلبةِ العِلْمِ، نفعَ اللهُ بهم أجمعينَ.

فساهمَ أخي المُسْلِمَ في نَشْرِه -وما أيسرَ ذلك الآنَ- وكُنْ شريكًا في الأجرِ؛ فالدَّالُّ على

الخيرِ كفاعِلِه.

نَسألُ اللهُ تعالى أن يَتَقَبَّلَ مِنَّا ومنكم، وأن يَجْعَلَ أعمالنا خالِصةً لوجهِ الكَرِيمِ.

وَصَلَّى اللهُ على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعينَ.

المجلس الأول

رَمَضَانُ فَضَائِلُ وَخَصَائِصُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَضَّلَ بَعْضَ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمَكِنَةِ وَالْأَعْمَالِ عَلَى بَعْضٍ،
وَاخْتَصَّ مَا شَاءَ مِنْهَا بِمَا شَاءَ مِنْ نَفْلِ وَفَرْضٍ، الْقَائِلِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾
[القصص: ٦٨]، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فِي عِبَادَةِ اللَّهِ:

لَقَدْ أَظَلَّنَا شَهْرٌ عَظِيمٌ مَبَارَكٌ، شَهْرٌ جَعَلَهُ اللَّهُ مَوْسِمًا لِلطَّاعَاتِ، وَنُزُولِ الرَّحْمَاتِ وَالْبَرَكَاتِ.
وَشَهْرٌ رَمَضَانَ لَهُ فَضَائِلٌ كَثِيرَةٌ، وَخَصَائِصٌ عَظِيمَةٌ اخْتَصَّهَ اللَّهُ بِهَا مِنْ بَيْنِ الشُّهُورِ:
فَمِنْ فَضَائِلِهِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَضَّلَهُ عَلَى بَقِيَّةِ الشُّهُورِ بِإِنزَالِ أَفْضَلِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَنَزَلَ فِي أَشْرَفِ لَيْلَةٍ مِنْهُ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾
[القدر: ١]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

وَمِنْ فَضَائِلِ هَذَا الشَّهْرِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَعَدَّ عَلَى الْعِبَادَةِ فِيهِ صِيَامًا وَقِيَامًا بِالمَغْفِرَةِ مِنَ الذُّنُوبِ.

ففي الصَّحِيحِينَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا

وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)).

وفيهما عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ

لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)).

ففي ذَلِكَ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ وَفَّقَ لَصِيَامِ وَقِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ كُلِّهِ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ: مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ

إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)).

وَمَا أَعْظَمَ الْحَيْبَةَ وَالْخُسْرَانَ لِمَنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي رَمَضَانَ.

ثَبَتَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَقَى الْمِنْبَرَ،

فَقَالَ: ((أَمِينَ، أَمِينَ، أَمِينَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِهَذَا؟ فَقَالَ: قَالَ لِي

جَبْرِيْلُ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: أَمِينَ...)).

(رَغِمَ أَنْفُهُ) أَي: خَابَ وَخَسِرَ وَلَصِقَ أَنْفُهُ بِالتُّرَابِ كُلِّ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَكَسِلَ عن

العبادة حتى انتهى الشهر ولم يُغفر له.

ومن فضائل هذا الشهر: أن صيامه من أسباب دخول الجنة.

فروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحلت

الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئاً، أَدْخُلُ الجنة؟ قال: نعم،...)).

وثبت عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه أن رجلاً من قضاة جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وصليت

الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من مات

على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا - ونصب إصبغيه - ما لم

يَعُقَّ (والديه)).

فصوم رمضان من جملة الأسباب التي ينال بها العبد صحبة النبيين والصديقين والشهداء

يوم القيامة.

ومن خصائص هذا الشهر العظيم: أنه الشهر الذي تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه

أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين وتُسلسل.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا

دخَلَ رَمَضَانَ فَتَّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِسِلَتِ الشَّيَاطِينُ). (ص) وفي روايةٍ لمُسلمٍ: ((وَصَفَّدَتِ الشَّيَاطِينُ)).

فإذا جاءَ شهرُ رَمَضَانَ فَتَّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ؛ تَعْظِيمًا لِهَذَا الشَّهْرِ وَتَكْرِيمًا، وَحَثًّا لِلنَّاسِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ بَاعَثُ عَلَى تَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ. وَتُسَلْسَلُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فَتَقِلُّ الشُّرُورُ فِي رَمَضَانَ، وَيَزْدَادُ الْإِقْبَالُ عَلَى الطَّاعَاتِ سُهولةً، وَيَزْدَادُ الْعِبَادُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ نُفُورًا، فَيَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ؛ فَعَسَى أَنْ تُصِيبَكَ نَفْحَةٌ مِنْ نَفْحَاتِ الرَّحْمَنِ فَتَسْعَدَ بِهَا سَعَادَةً أَبَدِيَّةً تَأْمَنُ بَعْدَهَا مِنْ لَفْحَاتِ جَهَنَّمَ.

أخي المبارك:

إِنَّ إدْرَاكَ شَهْرِ رَمَضَانَ لِنِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَى مَنْ بُلِّغَهُ، وَقَامَ بِحَقِّهِ، وَكَمِ مِنْ صَاحِبِ مُعَافَى قَدْ أَمَّلَ بِلُوغِ رَمَضَانَ لِهَذَا الْعَامِ فِجَاءَتِهِ الْمُنِيَّةُ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ!

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمَجْتَهِدُ مِنْهَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ، وَرُئِيَ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَوَّلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟ قَالُوا: بَلَى،

قال: وأدركَ رَمَضَانَ فِصَامًا، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟ قالوا: بلى، قال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)). ﴿فَ (خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ))، ﴿كَمَا صَحَّحَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ ذَلِكَ بَلُوغُ رَمَضَانَ وَالْاجْتِهَادُ فِيهِ.

فَهَنِيئًا لِمَنْ أَدْرَكَه، وَاعْتَمَمَ سَاعَاتِهِ، وَفَازَ بِتَحْقِيقِ الْغَايَةِ مِنْ صِيَامِهِ؛ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا شُرِعَ الصِّيَامُ هِيَ التَّقْوَى.

كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فَالصِّيَامُ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ التَّقْوَى.

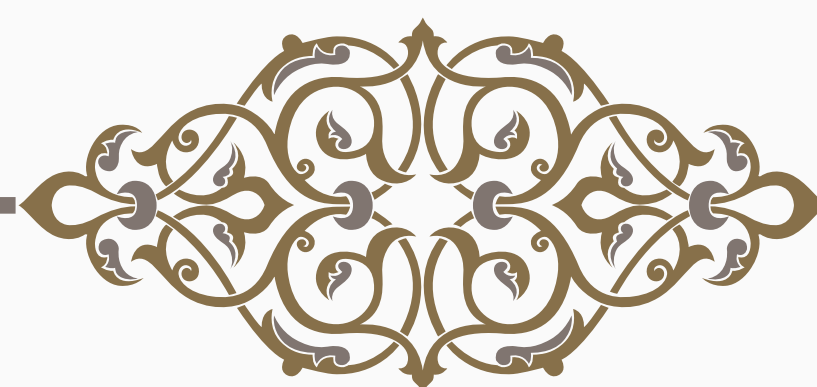
وَمِنْ فَوَائِدِ الصِّيَامِ - أَيْهَا الْإِخْوَةُ - أَنَّهُ مُوجِبٌ لِلرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ.

وَفِي الصِّيَامِ تَرْبِيَةٌ لِلنَّفْسِ عَلَى الْإِرَادَةِ، وَقُوَّةٌ التَّحْمُلِ.

وَفِي الصِّيَامِ قَهْرٌ لِلشَّيْطَانِ.

وَالصِّيَامُ يُطَهِّرُ الْبَدَنَ، وَيُكْسِبُهُ صِحَّةً وَقُوَّةً. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِاِغْتِنَامِ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ،
وَأَنْ يَجْعَلَنَا فِيهِ مِنَ الْمَقْبُولِينَ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا أَجْمَعِينَ.
وَأَخْرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس الثاني

مُقَدِّمَاتٌ عَنْ صَوْمِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، فَبَلَّغَنَا رَمَضَانَ، وَنَحْنُ فِي أَمْنٍ وَعَافِيَةٍ فِي الْأَبْدَانِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ صَامَ وَقَامَ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

أَي: فُرِضَتْ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عِبَادَةُ الصِّيَامِ كَمَا فُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

أَي: فَمَنْ كَانَ حَاضِرًا مُّقِيمًا غَيْرَ مُسَافِرٍ فَقَدْ وَجِبَ عَلَيْهِ صِيَامٌ مَا حَضَرَهُ مِنْ أَيَّامِ الشَّهْرِ الْفَضِيلِ.

وهو ركنٌ من أركانِ الإسلامِ الخمسةِ.

ففي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ،

وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ)).

لذا ينبغي على المسلم أن يتعلَّم أحكامَ الصَّوْمِ حتَّى يكونَ صَوْمُهُ صَاحِحًا مَقْبُولًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالصَّوْمُ الشَّرْعِيُّ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - هُوَ: التَّعَبُّدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَسَائِرِ الْمَفْطَرَاتِ، مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا التَّعْرِيفِ أَنَّ لِلصَّيَامِ رُكْنَيْنِ:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: الْإِمْسَاكُ عَنِ الْمَفْطَرَاتِ

فِيحِبُّ عَلَى الصَّائِمِ الْامْتِنَاعُ عَنْ كُلِّ مَا يُبْطِلُ صَوْمَهُ مِنْ سَائِرِ الْمَفْطَرَاتِ، كَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجَمَاعِ.

وَالرُّكْنُ الثَّانِي: اسْتِعَابُ زَمَنِ الْإِمْسَاكِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ

الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴿البقرة: ١٨٧﴾.

فأباح الله عزَّ وجلَّ الأكلَ والشُّربَ في أيِّ وقتٍ من اللَّيْلِ، حتَّى يتميَّزَ بياضُ النَّهارِ من سوادِ اللَّيْلِ، وحينها يجبُ الإمساكُ عن الأكلِ والشُّربِ والجماعِ إلى غروبِ الشَّمسِ.

وفي الصَّحيحينِ عن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إذا أقبلَ اللَّيْلُ من هاهنا، وأدبرَ النَّهارُ من هاهنا، وغرَبَتِ الشَّمسُ؛ فقد أفطَرَ الصَّائِمُ)).

فيلزِمُ الإمساكُ عن المفطَّراتِ من دُخولِ الفجرِ الثَّاني، فمَن طلعَ عليه الفجرُ وفي فَمِه طعامٌ فليلفِظهُ ويُتمِّ صَوْمَهُ، فإنِ ابتلَعَهُ بطلَّ صَوْمُهُ.

وينتهي زَمَنُ الإمساكِ بغُروبِ الشَّمسِ.

ويشترطُ لوجوبِ صَوْمِ رَمَضانَ: الإسلامُ، والبُلوغُ، والعقلُ، والإقامةُ، والقدرةُ على الصَّومِ، والطَّهارةُ مِنَ الحَيْضِ والنِّفاسِ.

ولا يصحُّ الصَّومُ بدونِ نِيَّةٍ، ويجبُ تبيئُها من اللَّيْلِ قَبْلَ طُلوعِ الفجرِ، والنِّيَّةُ محلُّها القلبُ، فلا يُشرَعُ النُّطقُ بها، ومتى خطرَ بقلبك في اللَّيْلِ أنَّ غداً من رمضانَ، وأنَّك صائمٌ فيه، فقد نوَّيتَ، والتسحُّرُ لأجلِ الصَّيامِ دليلٌ على حصولِ النِّيَّةِ.

ومَن تردَّدَ في نِيَّةِ الصَّومِ الواجبِ، واستمرَّ هذا التَّردُّدُ إلى الغدِ، ثمَّ صامه؛ فصَوْمُهُ غيرُ

صحيح، وعليه قضاء هذا اليوم.

وإذا عقد الإنسان النية على أنه إن كان غداً رمضان فهو فرضي، أو سأصوم الفرض، فتبين أنه رمضان؛ فصومه صحيح.

وقد فرض الله عز وجل صيام شهر رمضان إذا طلع هلاله، فأوجب تعالى على من حضر رمضان - بأن أهل هلاله وهو مقيم معافى - أن يصومه. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)).
((غبي عليكم)) أي: خفي عليكم.

فلا يصام رمضان إلا إذا رُئي الهلال، فإذا تعددت رؤيته ليلة الثلاثين من شعبان؛ بسبب الغيم أو أي مانع، فإنه يتم شعبان ثلاثين يوماً.

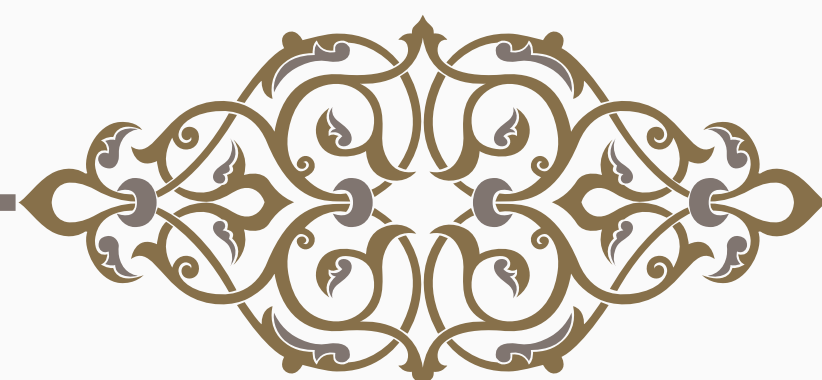
ولا يجوز صوم يوم الشك خوفاً من أن يكون من رمضان، ويوم الشك هو اليوم الثالثون من شعبان، إذا لم تثبت الرؤية ثبوتاً شرعياً. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا

رجل كان يصوم صوماً فليصمه)).

وَيَجُوزُ اسْتِعْمَالُ الْمُرَاصِدِ الْفَلَكَيَّةِ، فَلَوْ رَأَى الْهَلَالَ عَبْرَهَا مَنْ يُوثِقُ بِهِ، فَإِنَّهُ يُعْمَلُ بِهَذِهِ الرَّؤْيِيَّةِ.
وَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِالْحِسَابِ الْفَلَكَيِّ، وَلَا الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ، فِي إِثْبَاتِ دُخُولِ رَمَضَانَ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى صِيَامِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ عَنَّا، وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا،
وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَنَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَنَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ
يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس الثالث

مُفَطَّرَاتُ الصَّائِمِ (١)

الحمدُ لله الذي علَّمنا من العلمِ ما لم نكنْ نَعْلَمُ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على محمدٍ المبعوثِ بالشرعِ الأقومِ والمنهجِ الأحكمِ.
أما بعدُ:

فقد ذكرنا أنَّ أوَّلَ أركانِ الصيامِ الإمساكُ عن المُفَطَّرَاتِ فتعالوا بنا نتعرفُ على هذه المُفَطَّرَاتِ حتى يسلمَ للصائمِ صومُه.

فمن المُفَطَّرَاتِ للصائمِ: تناولُ الطَّعامِ والشَّرَابِ عمدًا.

فمن أكلَ أو شربَ ممَّا يُتَغَدَّى به متعمدًا، وهو ذاكِرٌ لصومِه، فإنَّ صومَه يبطلُ.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فأباح اللهُ تعالى الأكلَ والشُّربَ في أيِّ وقتٍ من اللَّيْلِ، حتَّى يظهرَ بياضُ النَّهارِ من سوادِ اللَّيْلِ، وحينها يجبُ الإمساكُ عن الأكلِ والشُّربِ إلى غروبِ الشَّمسِ.

وروى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال

فيما يرويه عن ربّه عزّ وجلّ: ((يتركُ طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)).

ويلزم من أفطر متعمداً بتناول الطعام أو الشراب الإمساك بقية يومه، وعليه قضاء هذا اليوم ولا كفارة عليه.

ومن أكل أو شرب ناسياً فلا شيء عليه، ويؤتم صومه، ((فإنما أطعمه الله وسقاه))، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهناك أشياء يُعفى عنها فلا تُفطر الصائم، ومن ذلك:

ما يدخل جوفه بلا اختيار منه، كغبار الطريق وغيره، فلا يُفطره.

وابتلاع الريق لا يُفطر، ما دام لم يفارق الفم ولم يجمعه.

ومن ابتلع ما بين أسنانه وهو صائم، وكان يسيراً لا يمكن لفظه، ممّا يجري مع الريق؛ فصومه صحيح، وإن كان يمكنه لفظه فإنه يُفطر.

وابتلاع البلغم أو النخامة إذا لم تصل إلى الفم: لا يُفطر.

وشرب الدخان المعروف أثناء الصوم يُفسده؛ لأنّ الدخان له جرمٌ ينفذ إلى الجوف، فيكون مفطراً كالماء؛ وصاحبه يتعمد إدخاله في جوفه من منفذ الأكل والشرب، فيكون مفطراً، وتعاطيه أصلاً حرام، صائماً كان أو مفطراً، في رمضان أو غير رمضان.

ومن استقاء متعمداً فقد أفطر، ويلزمه القضاء، ولا كفارة عليه، ومن غلبه القيء لا يُفطر،

ولا شيء عليه.

وَمِنْ مَفْطَرَاتِ الصَّائِمِ: الْوُقُوعُ فِي الْجِمَاعِ عَمْدًا.

فَمَنْ جَامَعَ مَتَعَمَّدًا فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَسَدَ صَوْمُهُ.

قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فَعَلَّقَ حِلَّ الرَّفَثِ إِلَى النِّسَاءِ - وَهُوَ الْجِمَاعُ - إِلَى تَبَيُّنِ الْخَيْطِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ، وَهُوَ وَقْتُ بَدَايَةِ الصِّيَامِ، ثُمَّ يَجِبُ الْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ إِلَى اللَّيْلِ، فَإِذَا وُجِدَ الْجِمَاعُ قَبْلَ اللَّيْلِ فَإِنَّ الصِّيَامَ حِينَئِذٍ يَكُونُ بَاطِلًا.

روى البخاريُّ ومُسْلِمٌ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وَمَا أَهْلَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، فَقَالَ: هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لَا. فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالْعَرَقُ: الْمِكْتَلُ^(١) -،

(١) وهو شيءٌ كالقَفَّةِ أو الزَّنْبِيلِ يَسَعُ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعًا إِلَى عِشْرِينَ.

قال: أين السائل؟ فقال: أنا. قال: خذ هذا فتصدق به...)).

وتجِبُ الكَفَّارَةُ على المُجَامِعِ، ويكونُ وَفَقَ التَّرتِيبِ المذكورِ في الحديثِ السَّابِقِ: عِتْقُ رَقَبَةٍ، فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فِصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتتَابِعَيْنِ، فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فإِطعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا.

وعليه أَنْ يَقْضِيَ ذلكَ اليَوْمَ الَّذِي أفسَدَهُ بِالْجُمَاعِ.

وإذا جُمِعَتِ المرأَةُ في نهارِ رَمَضَانَ طائِعَةً يلزِمُها القِضَاءُ والكَفَّارَةُ.

وَمَنْ جَامَعَ ناسِيًا فِصَوْمَهُ صَحِيحًا، ولا يلزِمُهُ شَيْءٌ.

وَمَنْ اسْتَمْنَى في نهارِ رَمَضَانَ فقد فَسَدَ صَوْمُهُ، وعليه القِضَاءُ، ولا كَفَّارَةَ عليه.

وَمَنْ نامَ فاحتَلَمَ في نهارِ رَمَضَانَ فِصَوْمُهُ صَحِيحٌ.

وللْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ إِنْ شاء اللهُ...

نَسألُ اللهُ أَنْ يُفَقِّهَنَا في دِينِنَا، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا ما يَنْفَعُنَا، وَيَنْفَعَنَا بما عَلَّمَنَا.

وآخرُ دَعْوَانَا أَنْ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجمَعِينَ.

للمزيد: ما يُفسِدُ الصَّومَ وما لا يُفسِدُهُ - الموسوعة الفقهية

المجلسُ الرَّابِعُ

مُفَطَّرَاتُ الصَّائِمِ (٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه مجموعةٌ أُخرى من المسائلِ والأحكامِ المتعلقةِ بِمُفَطَّرَاتِ الصَّائِمِ اسْتِكْمَالًا لما تَقَدَّمَ في المجلسِ السَّابِقِ.

فَمِنَ الْمُفَطَّرَاتِ: الْحَيْضُ وَالنَّفَاسُ. ﴿١﴾

فَمَنْ حَاضَتْ أَوْ نَفَسَتْ أَثْنَاءَ نَهَارِ رَمَضَانَ فَقَدْ فَسَدَ صَوْمُهَا، وَيَلْزَمُهَا قِضَاؤُهُ، وَلَا يَلْزَمُهَا إِمْسَاكُ بَاقِيِ الْيَوْمِ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((... أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟)). ﴿٢﴾

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا سُئِلَتْ: مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ قَالَتْ: ((كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَنُؤْمَرُ بِقِضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقِضَاءِ الصَّلَاةِ)). ﴿٣﴾

وَأَمَّا بِالنُّسْبَةِ لِمَا يَتَعَلَّقُ بِذَهَابِ الْعَقْلِ أَثْنَاءَ الصَّوْمِ بِإِغْمَاءٍ أَوْ نَوْمٍ: ﴿

فَمَنْ نَوَى الصَّوْمَ فِي يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ أُصِيبَ بِإِغْمَاءٍ وَاسْتَوْعَبَ الْإِغْمَاءُ جَمِيعَ النَّهَارِ، أَيْ: أَغْمِيَ عَلَيْهِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَلَمْ يُفِقْ إِلَّا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَلَا يَصِحُّ صَوْمُهُ، وَعَلَيْهِ قَضَاءُ هَذَا الْيَوْمِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّوْمَ إِسْكَاءٌ عَنِ الْمَفْطَرَاتِ مَعَ النِّيَّةِ، وَالْمَغْمَى عَلَيْهِ فَقَدْ إِسْكَأَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ النِّيَّةُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى وَجُوبِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ: عَمُومُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَإِذَا أَغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ جِزَاءً مِنَ النَّهَارِ، وَلَوْ لِلْحِظَّةِ، فَصِيَامُهُ صَاحِحٌ، وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّوْمَ إِسْكَاءٌ عَنِ الْمَفْطَرَاتِ مَعَ النِّيَّةِ، وَمَا دَامَ أَنَّهُ قَدْ أَفَاقَ جِزَاءً مِنَ النَّهَارِ فَقَدْ وَجَدَتْ مِنْهُ النِّيَّةُ، كَمَا لَوْ نَامَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ زَالَ عَقْلُهُ وَفَقَدَ وَعِيَهُ بِسَبَبِ التَّخْدِيرِ بِالْبَنْجِ فَحُكْمُهُ حُكْمُ الْإِغْمَاءِ، عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

وَمَنْ نَامَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَصَوْمُهُ صَاحِحٌ سِوَاءِ اسْتَيْقَظَ فِي بَعْضِ النَّهَارِ، وَنَامَ بَاقِيَهُ، أَوْ اسْتَغْرَقَ نَوْمُهُ جَمِيعَ النَّهَارِ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ الْغُرُوبِ.

وأما ما يتعلّق بالعِلاجاتِ والأدوية: ﴿

فَمَنْ أُجْرِيَ لَهُ غَسِيلٌ كُلوِيٌّ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ كَانَتْ فَإِنَّهُ يُفْطِرُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ غَسِيلَ الكُلَى مَهْمَا كَانَتْ صُورَتُهُ لَا يَخْلُو مِنْ دُخُولِ المُفْطِرِ لِلبَدَنِ؛ فَهُوَ يُزَوِّدُ الجِسْمَ بِالدَّمِ النَّقِيِّ، وَقَدْ يُزَوِّدُ بِمَادَّةٍ غِذَائِيَّةٍ أُخْرَى، فَاجْتَمَعَ بِذَلِكَ مُفْطِرَانِ.

وَاسْتِعْمَالُ بَخَّاخِ الرَّبْوِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ لَا يُفْسِدُ الصَّوْمَ؛ لِأَنَّ الرَّذَاذَ الَّذِي يَنْفُثُهُ بَخَّاخُ الرَّبْوِ عِبَارَةٌ عَنِ هَوَاءٍ، حُدُودُهُ الرَّئْتَانِ، وَمُهْمَّتُهُ تَوْسِيعُ شَرَايِينِهَا وَشُعْبِهَا الهَوَائِيَّةِ الَّتِي تَضِيقُ بِالرَّبْوِ، وَهَذَا الرَّذَاذُ لَا يَصِلُ إِلَى المَعِدَةِ، وَلَا يُشَكِّلُ غِذَاءً وَلَا شَرَابًا لِلْمَرِيضِ، وَهُوَ لَيْسَ بِمَعْنَى الأَكْلِ وَلَا الشُّرْبِ.

وَالأَقْرَاصُ الَّتِي تُوضَعُ تَحْتَ اللِّسَانِ (وَهِيَ أَقْرَاصُ تَوْضَعُ لِعِلاجِ بَعْضِ الأَزْمَاتِ القَلْبِيَّةِ، وَهِيَ تُنْتَصُّ مَبَاشَرَةً بَعْدَ وَضْعِهَا بِوَقْتِ قَصِيرٍ، وَيَحْمِلُهَا الدَّمُ إِلَى القَلْبِ، فَتُوقَفُ أَزْمَاتُهُ المَفاجِئَةُ، وَلَا يَدْخُلُ إِلَى الجَوْفِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الأَقْرَاصِ). فَتَنَاقُلُهَا لَا يُفْسِدُ الصَّوْمَ، بِشَرَطِ الأَلَّا يَتَلَعَّ شَيْئًا مِمَّا يَتَحَلَّلُ مِنْهَا؛ فَهِيَ لَيْسَتْ أَكْلًا وَلَا شُرْبًا وَلَا فِي مَعْنَاهُمَا، وَلَا يَدْخُلُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى الجَوْفِ.

وَاسْتِعْمَالُ غَازِ الأَكْسِجِينِ فِي التَّنْفُّسِ لَا يُفْسِدُ الصِّيَامَ؛ لِأَنَّهُ مُجَرَّدُ غَازٍ يَدْخُلُ إِلَى الجِهَازِ التَّنْفُّسِيِّ، وَلِأَنَّهُ لَا يَحْتَوِي عَلَى أَيِّ مَوادِّ مُغَذِّيَّةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَلَا يَنَالُ المَعِدَةَ مِنْ سُبُولَتِهِ شَيْءٌ.

وَاسْتِعْمَالُ الْحُقْنَةِ أَوْ الْإِبْرَةِ غَيْرِ الْمَغْذِيَّةِ لَا يُفْسِدُ الصَّوْمَ، سِوَاءَ كَانَتْ فِي الْعَضْلِ أَوْ الْوَرِيدِ أَوْ تَحْتَ الْجِلْدِ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ أَكْلًا وَلَا شُرْبًا وَلَا فِي مَعْنَاهُمَا.

أَمَّا اسْتِعْمَالُ الْحُقْنِ الْوَرِيدِيَّةِ الْمَغْذِيَّةِ فَيُفْسِدُ الصِّيَامَ؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالْمُتَنَاوُلُ لَهَا يَسْتَعْنِي بِهَا عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ.

وَاسْتِعْمَالُ التَّحَامِيلِ (اللبوس) فِي نَهَارِ رَمَضَانَ لَا يُفْسِدُ الصَّوْمَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَكْلًا وَلَا شُرْبًا وَلَا فِي مَعْنَاهُمَا، وَلَا يَصِلُ إِلَى الْمَعِدَةِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلِأَنَّ التَّحَامِيلَ تَحْتَوِي عَلَى مَادَّةٍ دَوَائِيَّةٍ، وَلَيْسَ فِيهَا سِوَاءِ تَدْخُلِ الْجَوْفِ.

وَإِدْخَالُ الْقَسْطَرَةِ أَوْ الْمِنْظَارِ، أَوْ إِدْخَالُ دَوَاءٍ أَوْ مَحْلُولٍ لَغَسْلِ الْمَثَانَةِ، أَوْ مَادَّةٍ تَسَاعِدُ عَلَى وَضُوحِ الْأَشْعَةِ: لَا يُفْطَرُ؛ لِأَنَّهُ لَا عِلَاقَةَ بَيْنَ مَسَالِكِ الْبَوْلِ وَالْجِهَازِ الْهَضْمِيِّ، وَالْجِسْمُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَغَدَّى مُطْلَقًا بِمَا يَدْخُلُ إِلَى مَسَالِكِ الْبَوْلِ. وَالْأَصْلُ صِحَّةُ الصِّيَامِ.

والتَّقْطِيرُ فِي فَرْجِ الْمَرْأَةِ غَيْرُ مُفْسِدٍ لِلصِّيَامِ، وَكَذَلِكَ التَّحَامِيلُ الْمَهْبِلِيَّةُ وَضَخُّ صَبْغَةِ الْأَشْعَةِ؛ إِذْ لَا مَنَفَعَةَ بَيْنَ الْجِهَازِ التَّنَاسُلِيِّ لِلْمَرْأَةِ وَبَيْنَ الْجِهَازِ الْهَضْمِيِّ.

نَسَأُ اللَّهُ أَنْ يُفَقِّهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَيَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

المجلس الخامس

ما يُكْرَهُ لِلصَّائِمِ وَمَا يُبَاحُ لَهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ، مَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا دَلَّنَا عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَدَّرْنَا مِنْهُ، الْقَائِلِ: ((إِذَا أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ

فَدَعُوهُ)).

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ يَتَوَهَّمُ الْبَعْضُ أُمُورًا يَظُنُّهَا مُحَرَّمَةً عَلَى الصَّائِمِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا تَصِلُ إِلَى التَّحْرِيمِ؛ فَقَدْ تَكُونُ مَكْرُوهَةً أَوْ مَبَاحَةً. وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا فَالْأَوْلَى تَرْكُهُ؛ لِئَلَّا يُوَقَعَ فِي الزَّلَلِ، وَمَا كَانَ مَبَاحًا فَالصَّائِمُ فِيهِ فِي سَعَةٍ مِنْ أَمْرِهِ: إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، وَلَا يَنْبَغِي الْإِنْكَارُ فِيهِ عَلَى الْآخَرِينَ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى ذَلِكَ لِيَكُونَ عَلَى بَيِّنَةٍ وَبَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ.

أَوَّلًا: مَا يُكْرَهُ لِلصَّائِمِ.

١ - تَكْرَهُ الْمَبَالِغَةُ فِي الْمِضْمُضَةِ وَالِاسْتِشْقَاقِ.

فَقَدْ صَحَّ عَنْ لَقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنْ

الْوُضُوءِ. قَالَ: ((أَسْبَغِ الْوُضُوءَ، وَخَلِّ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالِغٌ فِي الْاسْتِنشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا)).

أَي: بَالِغٌ فِي إِيْصَالِ الْمَاءِ إِلَى أَعْلَى الْأَنْفِ وَالْخِيَاشِيمِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِلَ الْمَاءُ إِلَى الْجَوْفِ، فَيَتَسَبَّبَ فِي الْفِطْرِ.

٢- يُكْرَهُ الْوِصَالُ فِي الصَّوْمِ.

فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((لَا تُوَاصِلُوا، فَأَيْكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحْرِ)).

وَالنَّهْيُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ مُوَاصَلَةِ الصَّوْمِ - بَتْرِكِ الطَّعَامِ لَيْلًا وَنَهَارًا، قَصْدًا وَعَمْدًا - مَحْمُولٌ عَلَى الْكِرَاهَةِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ رِفْقًا وَرَحْمَةً وَشَفَقَةً عَلَى الْأُمَّةِ؛ كَيْ لَا يَشُقَّ عَلَيْهِمْ.

٣- يُكْرَهُ ذَوْقُ الطَّعَامِ بغيرِ حَاجَةٍ.

لِأَنَّهُ قَدْ يَنْزِلُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ إِلَى جَوْفِ الصَّائِمِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ، فَيَكُونُ فِي ذَوْقِهِ لَهُ تَعْرِضٌ صَوْمِهِ لِلْفَسَادِ، وَرَبَّمَا يَكُونُ مُشْتَهِيًا لِلطَّعَامِ فَيَتَذَوَّقُهُ؛ لِيَتَلَذَّذَ بِهِ، وَرَبَّمَا يَمْتَصُّهُ بِقُوَّةٍ، فَيَنْزِلُ إِلَى جَوْفِهِ.

ثَانِيًا: مَا يُبَاحُ لِلصَّائِمِ.

١- يُبَاحُ تَأْخِيرُ الْاِغْتِسَالِ مِنَ الْجَنَابَةِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

فقد روى البخاريُّ عن عائشةَ وأمِّ سلمةَ رضي اللهُ عنهما: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنْبٌ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ)).

وَالجَنَابَةُ تُطَلَّقُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَنْزَلَ المَنِيَّ أَوْ جَامَعَ؛ لِاجْتِنَابِهِ الصَّلَاةَ وَالْعِبَادَاتِ حَتَّى يَطْهَرَ مِنْهَا.

٢- يُبَاحُ لِلْحَائِضِ إِذَا طَهَّرَتْ أَنْ تُوَخَّرَ الاغْتِسَالُ مِنَ الْحَيْضِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَذَلِكَ قِيَاسًا عَلَى الْجُنْبِ إِذَا أُخِّرَ اغْتِسَالَهُ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

٣- تُبَاحُ المَضْمُضَةُ وَالاسْتِنشَاقُ مِنْ غَيْرِ مُبَالِغَةٍ. وَذَلِكَ أَمْرٌ مَجْمَعٌ عَلَيْهِ.

٤- يُبَاحُ الاغْتِسَالُ وَالتَّبَرُّدُ بِالمَاءِ.

فقد صحَّ عن بعضِ الصَّحَابَةِ رضي اللهُ عنهم أَنَّهُ قَالَ: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ المَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ صَائِمٌ؛ مِنَ العَطَشِ، أَوْ مِنَ الحَرِّ)).

٥- يُبَاحُ ذَوْقُ الطَّعَامِ عِنْدَ الْحَاجَةِ.

وذلك كـمعرفةِ استواءِ الطَّعَامِ أَوْ مقدارِ مُلوحتِهِ، أَوْ عِنْدَ شِرَائِهِ لِاخْتِبَارِهِ، بِشَرَطِ أَنْ يَمْجَهَ بَعْدَ ذَلِكَ، أَوْ يَغْسِلَ فَمَهُ، أَوْ يَدْلُكَ لِسَانَهُ.

فقد صحَّ عن عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: (لا بأس أن يتطاعَمَ الصَّائِمُ مِنَ الْقِدْرِ) [هـ](#)، ولأنَّهُ لم يدخلْ إلى حَلِقِهِ شيءٌ، فأشبهَهُ المضمضة.

٦- تُبَاحُ الْقُبْلَةُ وَالْمُبَاشَرَةُ إِذَا مَلَكَ نَفْسَهُ.

يُباحُ لِلصَّائِمِ الْقُبْلَةُ وَالْمُبَاشَرَةُ فِيهَا دُونَ الْفَرْجِ، بِشَرَطِ أَنْ يَمْلِكَ نَفْسَهُ.

فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: ((كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ

عليه وسلَّم يُقبَلُ وهو صائمٌ، ويباشِرُ وهو صائمٌ، ولكنَّهُ أملككم لإزبه)) [هـ](#).

فدلَّ ذلك على أَنَّهُ تُباحُ الْقُبْلَةُ وَالْمُبَاشَرَةُ بغيرِ الْجِمَاعِ لِمَنْ يَسْتَطِيعُ التَّحَكُّمَ فِي شَهْوَتِهِ دُونَ مَنْ

لا يَأْمَنُ مِنَ الْإِنْزَالِ أَوْ الْجِمَاعِ.

٧- يُباحُ شَمُّ الطَّيِّبِ وَالرَّوَائِحِ.

وذلك لأنَّهُ لا يتصاعدُ إلى جسمِ الصَّائِمِ منها شيءٌ سوى مجردِ الرَّائِحَةِ، والرَّوَائِحُ عبارةٌ

عن هواءٍ تطيَّبَ بريحِ المسكِ وشبهه، والرَّائِحَةُ لا جسمَ لها، فلا تنفدُ إلى الجوفِ.

٨- يُباحُ استِعْمَالُ السَّوَالِكِ.

وذلك في أيِّ وقتٍ، سواءً كان قبلَ الزَّوالِ أو بعده؛ لعمومِ الأحاديثِ الواردةِ في استحبابِ

السَّوَالِكِ، دونَ تفریقٍ بَيْنَ الصَّائِمِ وَغَيْرِهِ، ولأنَّهُ تطهيرٌ للنفَمِ، فلا يُكرَهُ للصَّائِمِ، كالمضمضة.

ويجوزُ أن يستعملَ الصَّائِمُ معجونَ الأسنانِ، مع الحذرِ من نفاذه إلى الحلقِ.

٩- يُبَاحُ الْاِكْتِحَالُ.

وذلك لأنَّ العَيْنَ لَيْسَتْ مَنفَذًا لِلجَوْفِ.

١٠- يُبَاحُ اسْتِعْمَالُ قَطْرَةِ الْعَيْنِ.

وذلك لأنَّ جَوْفَ الْعَيْنِ لَا يَتَّسِعُ لِأَكْثَرِ مِنْ قَطْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَحَجْمُهَا قَلِيلٌ جَدًّا، فَيُعْفَى عَنْهَا، وَذَلِكَ أَقَلُّ مِنَ الْقَدْرِ الْمَعْفُوعِ عَنْهُ مِمَّا يَبْقَى مِنَ الْمَضْمُضَةِ. وَهَذِهِ الْقَطْرَةُ تُتَمَتُّ أثنَاءَ مُرُورِهَا فِي الْقَنَاةِ الدَّمْعِيَّةِ، وَلَا تَصِلُ إِلَى الْبُلْعُومِ، وَعِنْدَمَا تُتَمَتُّ تَذْهَبُ إِلَى مَنَاطِقِ التَّذْوِيقِ فِي اللِّسَانِ، فَيَشْعُرُ الْمَرِيضُ بِطَعْمِهَا.

١١- يُبَاحُ اسْتِعْمَالُ قَطْرَةِ الْأُذُنِ.

يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ قَطْرَةِ الْأُذُنِ لِمَنْ كَانَ صَائِمًا؛ لِأَنَّ الْأُذُنَ لَيْسَتْ مَنفَذًا لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

١٢- يُبَاحُ أَخْذُ الدَّمِ لِلتَّحَالِيلِ.

يَجُوزُ لِلصَّائِمِ الْأَخْذُ مِنْ دَمِهِ لِإِجْرَاءِ التَّحَالِيلِ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَا تَأْثِيرَ لَذَلِكَ عَلَى الْبَدَنِ.

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا نَافِعًا، وَارزُقْنَا عَمَلًا صَالِحًا مُتَقَبَّلًا.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

المجلس السادس

أهل الأعدار

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ، الَّذِي يَسِّرَ لَنَا هَذَا الدِّينَ غَايَةَ التَّيْسِيرِ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِيهِ مِنْ حَرْجٍ،
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ قُرْآنٌ عَرَبِيٌّ غَيْرٌ ذِي عِوَجٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْبَادِهِ أَنْ جَعَلَ هَذَا الشَّرْعَ الْكَرِيمَ قَائِمًا عَلَى السَّهَاحَةِ وَالْيُسْرِ، فَسَهَّلَ
عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ، وَشَرَعَ لَهُمُ الرُّخْصَ تَخْفِيفًا عَلَيْهِمْ؛ لئَلَّا يَقَعَ عَلَيْهِمْ ضَرَرٌ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ
مِنَ الصَّيَامِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ إِهْلَاكَ الْبَدَنِ وَلَا إِزْهَاقَ النَّفْسِ وَلَا حُصُولَ الْمَشَقَّةِ، بَلْ
حَيْثُمَا وَجِدَتْ الْمَشَقَّةُ جَلَبَتْ مَعَهَا التَّيْسِيرَ.

يَقُولُ تَعَالَى عَقِبَ تَرْخِيصِهِ لِلْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ الْفِطْرَ فِي رَمَضَانَ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ
وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فَأَهْلُ الْأَعْدَارِ هُمُ مَنْ يُبَاحُ لَهُمُ الْفِطْرُ فِي رَمَضَانَ، فَرَفَعَ الشَّارِعُ عَنْهُمْ الْحَرْجَ، وَأَذِنَ لَهُمْ
بِتَرْكِ الصَّيَامِ دُونَ إِثْمٍ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

إِنَّ مِنَ الْمُهَمَّاتِ لِكُلِّ حَرِيصٍ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ مَعْرِفَةَ الْأَعْدَارِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تُبِيحُ لَهُ الْفِطْرَ
وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ أَحْكَامٍ، قَدْ يَحْتَاجُهَا لِنَفْسِهِ، أَوْ يُبَيِّنُهَا لِغَيْرِهِ.

وَمِنْ أَهْلِ الْأَعْدَارِ: الْمَرِيضُ. ﴿﴾

إِذَا خَافَ الْمَرِيضُ زِيَادَةَ الْمَرَضِ بِسَبَبِ صِيَامِهِ أَوْ كَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِ فَلَهُ أَنْ يُفْطِرَ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ
تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا
يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَإِذَا كَانَ الْمَرَضُ يَضُرُّ الصَّائِمَ، وَخَشِيَ اهْلَاكَ بِسَبَبِهِ، فَالْفِطْرُ عَلَيْهِ وَاجِبٌ؛ لِعُمُومِ قَوْلِ اللَّهِ
تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فَالْنَهْيُ هُنَا يَشْمَلُ مَا فِيهِ إِزْهَاقٌ لِلنَّفْسِ،
وَمَا فِيهِ ضَرَرٌ.

وَمَنْ مَرَضَ مَرَضًا لَا يُوَثِّرُ فِيهِ الصَّوْمُ، وَلَا يَتَأَذَى بِهِ - مِثْلُ الزُّكَامِ أَوِ الصُّدَاعِ الْيَسِيرِينَ، أَوْ
وَجَعِ الضَّرْسِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ - فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُفْطِرَ.

وَإِذَا أَفْطَرَ مَنْ كَانَ بِهِ مَرَضٌ يُرْجَى شِفَاؤُهُ ثُمَّ شُفِيَ، وَجَبَ عَلَيْهِ قِضَاءُ مَا أَفْطَرَهُ مِنْ أَيَّامٍ؛ لِقَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وَإِذَا أَفْطَرَ مَنْ بِهِ مَرَضٌ لَا يُرْجَى شِفَاؤُهُ، فَإِنَّهُ يُطْعَمُ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا؛ إِحْقَاقًا لَهُ بِالشَّيْخِ

الكبير والمرأة العجوز؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾
[البقرة: ١٨٤]؛ لأنه في معناهما.

وإذا تحامل المريض على نفسه فصام فإنه يُجزئه؛ لأنَّ الصَّومَ عزيمةٌ أُبيحَ تركُها رخصةً، فإذا تحمَّله أجزأه.

وَمِنْ أَهْلِ الْأَعْدَارِ: الْمَسَافِرُ. ﴿

يَجُوزُ لِلْمَسَافِرِ أَنْ يُفْطِرَ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وثبت عن أنسٍ رضي الله عنه أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ الْمَسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلَاةِ)). ﴿

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ أَنَسًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سُئِلَ عَنِ صَوْمِ رَمَضَانَ فِي السَّفَرِ فَقَالَ: ((سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ، فَلَمْ يَعْيبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ)). ﴿

فكانوا يُسَافِرُونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْوَى عَلَى الصَّوْمِ فَيَصُومُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَقْوَى فَيُفْطِرُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِرٌّ لَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَلَا يَلُومُ وَلَا يَعْيبُ الصَّائِمُ عَلَى مَنْ أَفْطَرَ؛ لِأَنَّهُ عَمِلَ بِالرُّخْصَةِ، وَلَا يُنْكَرُ مَنْ أَفْطَرَ عَلَى مَنْ صَامَ

وَتَرَكَ الرُّخْصَةَ وَعَمِلَ بِالْعَزِيمَةِ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ أَدَبِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَتَمَّامِ فِقْهِهِمْ.

وَإِذَا شَقَّ الصَّوْمُ عَلَى الْمَسَافِرِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْفِطْرُ أَرْفَقَ بِهِ، فَالْفِطْرُ فِي حَقِّهِ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّ ارْتِكَابَ الْمَشَقَّةِ مَعَ وُجُودِ الرُّخْصَةِ فِيهِ إِعْرَاضٌ عَنِ رُخْصَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَيُبَاحُ الْفِطْرُ لِمَنْ كَانَ سَفَرُهُ شَبَهَ دَائِمٍ، كَسَائِقِي الطَّائِرَاتِ وَالْقِطَارَاتِ وَالشَّاحِنَاتِ وَنَحْوِهِمْ، إِذَا كَانَ لَهُ بَلَدٌ يَأْوِي إِلَيْهِ.

وَإِذَا دَخَلَ عَلَى الْمَسَافِرِ شَهْرُ رَمَضَانَ وَهُوَ فِي سَفَرِهِ فَلَهُ الْفِطْرُ.

وَإِذَا سَافَرَ أَثْنَاءَ الشَّهْرِ، وَخَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَهُ الْفِطْرُ فِي صَبِيحَةِ اللَّيْلَةِ الَّتِي يُخْرُجُ فِيهَا وَمَا بَعْدَهَا.

وَإِذَا سَافَرَ أَثْنَاءَ نَهَارِ رَمَضَانَ، وَخَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ، فَلَهُ أَنْ يُفِطِرَ.

وَيُبَاحُ الْإِفْطَارُ لِلْمَسَافِرِ، وَلَوْ كَانَ سَفَرُهُ بِوَسَائِلِ النُّقْلِ الْمَرِيحَةِ، سِوَاءً وَجَدَ مَشَقَّةً أَوْ لَمْ يَجِدْهَا.

وَإِذَا أَفْطَرَ الْمَسَافِرُ وَجَبَ عَلَيْهِ قِضَاءُ مَا أَفْطَرَهُ مِنْ أَيَّامٍ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وَمِنْ أَهْلِ الْأَعْدَارِ: الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ.

يُبَاحُ الْفِطْرُ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْعَجُوزِ، اللَّذَيْنِ لَا يُطِيقَانِ الصَّوْمَ، وَعَلَيْهَا أَنْ يُطْعِمَا عَنْ كُلِّ

يومٍ مسكينًا؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ وِفِدِيَّةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقد روى البخاريُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما أنَّه قال في معنى هذه الآية: (هو الشَّيْخُ الكَبِيرُ والمرأةُ الكَبِيرَةُ لا يستطيعان أن يصوما، فيُطْعمانِ مكانَ كُلِّ يومٍ مِسْكِينًا).

وَمِنَ أَهْلِ الْأَعْدَارِ: الْحَامِلُ وَالْمُرْضِعُ. ﴿﴾

يُباحُ لِلْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ الْفِطْرُ فِي رَمَضَانَ، سِوَاءَ خَافَتَا عَلَى نَفْسَيْهِمَا أَوْ عَلَى وَلَدَيْهِمَا.

فقد ثبت عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ

الْمَسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنِ الْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ الصَّوْمَ - أَوْ الصَّيَامَ -)). ﴿﴾

وَإِذَا أَفْطَرَتِ الْحَامِلُ وَالْمُرْضِعُ خَوْفًا عَلَى نَفْسَيْهِمَا أَوْ وَلَدَيْهِمَا فَعَلَيْهَا الْقِضَاءُ فَقَطْ، وَلَا فِدِيَّةَ عَلَيْهِمَا؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَنَ الْحَامِلَ وَالْمُرْضِعَ بِالْمَسَافِرِ، وَجَعَلَهُمَا مَعًا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ، فَصَارَ حُكْمُهُمَا كَحُكْمِهِ، وَلَيْسَ عَلَى الْمَسَافِرِ إِلَّا الْقِضَاءُ.

وَمِنَ أَهْلِ الْأَعْدَارِ: الْمَرَهَقُ مِنْ جُوعٍ أَوْ عَطَشٍ يَخْشَى مِنْهُ الْهَلَاكَ. ﴿﴾

مَنْ أَرَهَقَهُ جُوعٌ أَوْ عَطَشٌ شَدِيدٌ يَخَافُ مِنْهُ الْهَلَاكَ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الْفِطْرُ، وَعَلَيْهِ الْقِضَاءُ؛

لِعُمُومِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فَالنَّهْيُ هُنَا يَشْمَلُ مَا فِيهِ

إِزْهَاقٌ لِلنَّفْسِ، وَمَا فِيهِ ضَرَرٌ.

هَذِهِ أَهْمُ الْمَسَائِلِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَهْلِ الْأَعْدَارِ الَّذِينَ يَرُخَّصُ لَهُمْ فِي الْفِطْرِ، نَسَأُ اللهُ أَنْ يَعْلَمَنَا

ما يَنْفَعُنَا وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمْنَا وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا.

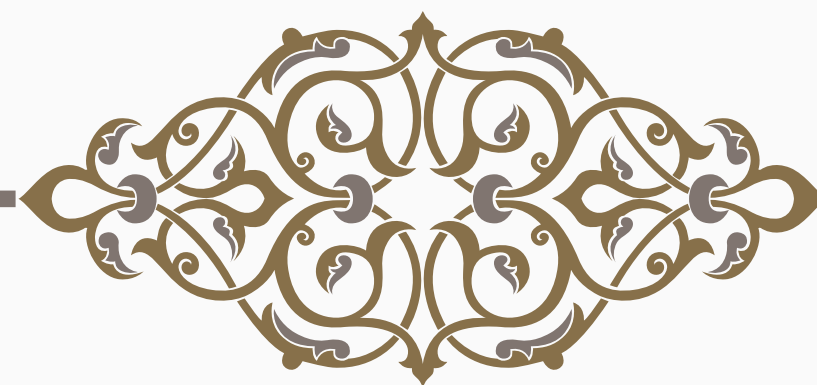
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، وَاعْفِرْ لَنَا جِدَّنَا وَهَزْلَنَا،

وَخَطَأَنَا وَعَمْدَنَا، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدَنَا،

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا،

أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس السابعُ الفِطْرُ والسُّحُورُ أَحْكَامٌ وَأَدَابٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَفَصَّلَ لَنَا الْأَحْكَامَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى خَيْرِ الْأَنْامِ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ لِلْفِطْرِ وَالسُّحُورِ أَحْكَامًا وَأَدَابًا يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، خَاصَّةً وَأَنْهَمَا يَتَكَرَّرَانِ
كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الصَّيَامِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ وَالْأَدَابِ:

أَوَّلًا: الْفِطْرُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ
الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ
هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ)).

وَيُسَنُّ تَعْجِيلُ الْإِفْطَارِ.

فَرَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لا يزال الناسُ بخيرٍ ما عجلوا الفِطْرَ)) .

وإنما كان تعجيلُ الفِطْرِ خَيْرًا؛ لأنَّه أحفظُ للقوَّةِ، وأرفعُ للمَشَقَّةِ، وأبعدُ عن الغلوِّ والبدعةِ.

وصحَّ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّه قال: ((ما رأيتُ رسولَ اللهِ قطُّ صلَّى صلاةَ المغربِ

حتَّى يُفطِرَ، ولو على شربةٍ من ماءٍ)) .

فتعجيلُ الإفطارِ من هديِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فكان يُعجِّلُ إفطارَه قبلَ صلاةِ

المغربِ وهو صائمٌ، فإن لم يجد شيئًا يأكله شربَ ماءً.

وقد صحَّ عن أبي عطيةَ أنَّه قال: ((قلتُ لعائشةَ: فينا رجلانِ من أصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ

عليه وسلَّم، أحدهما يُعجِّلُ الإفطارَ ويؤخِّرُ السُّحورَ، والآخرُ يؤخِّرُ الإفطارَ ويُعجِّلُ

السُّحورَ. قالت: أيُّهما الذي يُعجِّلُ الإفطارَ ويؤخِّرُ السُّحورَ؟ قلتُ: عبدُ اللهِ ابنُ مسعودٍ.

قالت: هكذا كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يصنعُ)) .

وفي تعجيلِ الإفطارِ مخالفةٌ لأهلِ الكتابِ.

فثبت عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((لا يزالُ الدِّينُ

ظاهرًا ما عجلَ الناسُ الفِطْرَ؛ لأنَّ اليهودَ والنصارى يؤخِّرونَ)) .

أي: يؤخِّرونَ إفطارَهم إذا كانوا صائمينَ، فيبِّنُ أنَّ سببَ هذا التَّعجيلِ هو مخالفةُ اليهودِ

والنَّصَارَى، وَأَنَّ مَخَالَفَتَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ.

وَيُسْنُّ لِمَنْ أَفْطَرَ عِنْدَ غَيْرِهِ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ.

فَصَحَّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ نَاسٍ قَالَ:

((أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ)).

وهذا من جميل الآداب التي تزيد التآلف والمحبة.

ثانِيًا: السُّحُورُ.

السُّحُورُ (بِضْمِ السِّينِ): هُوَ تَنَاوُلُ الطَّعَامِ وَقْتَ السَّحْرِ لِمَنْ نَوَى الصَّيَامَ. وَهُوَ (بِفَتْحِ

السِّينِ): الطَّعَامُ الَّذِي يُؤْكَلُ فِي هَذَا الْوَقْتِ.

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ أَرَادَ الصَّيَامَ أَنْ يَتَسَحَّرَ.

فَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((تَسَحَّرُوا؛

فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً)).

وَأَتَى التَّأْكِيدُ عَلَى أَكْلِ السَّحْرِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْوَقْتَ مَظِنَّةُ النَّوْمِ عِنْدَ أَغْلَبِ النَّاسِ، فَلَرُبَّمَا غَلَبَهُمُ

النَّوْمُ وَلَذَتْهُ عَنِ الْقِيَامِ لَتَنَاوُلِ السُّحُورِ، فَأَضْعَفَ ذَلِكَ نَشَاطَهُمْ فِي النَّهَارِ.

وَيُسَنُّ لِلصَّائِمِ تَأْخِيرُ السُّحُورِ مَا لَمْ يَخْشَ طُلُوعَ الْفَجْرِ. ﴿٤٠﴾

فَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ((أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَسَحَّرَا، فَلَمَّا فَرَغَا مِنْ سَحُورِهِمَا، قَامَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَصَلَّى، فَقُلْنَا لِأَنَسٍ: كَمْ كَانَ بَيْنَ فَرَغِهَا مِنْ سَحُورِهِمَا وَدُخُولِهَا فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: كَقَدْرِ مَا يَقْرَأُ الرَّجُلُ خَمْسِينَ آيَةً)). ﴿٤١﴾

فَبَعْدَ فَرَغِهَا مِنَ السُّحُورِ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ فَصَلَّاهَا، وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى تَأْخِيرِ السُّحُورِ إِلَى قُبَيْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ مُبَاشَرَةً. وَالسُّحُورُ بَرَكَةٌ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً)). ﴿٤٢﴾

وَصَحَّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ، فَقَالَ: ((إِنَّهَا بَرَكَةٌ أُعْطَاكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَلَا تَدَعُوه)). ﴿٤٣﴾

وَهَذَا يُوَضِّحُ أَهْمِيَّةَ السُّحُورِ لِلصَّائِمِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَكْلَةَ فِيهَا بَرَكَةٌ مَادِيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ لَهُ.

وَمِنْ تِلْكَ الْبَرَكَاتِ: التَّقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ عَمُومًا، وَالتَّقْوَى عَلَى صِيَامِ الْيَوْمِ، وَزِيَادَةُ النَّشَاطِ،

وَمُدَافِعَةٌ سُوءِ الْخُلُقِ الَّذِي قَدْ يُثِيرُهُ الْجُوعُ، وَفِيهِ تَدَارُكُ نِيَّةِ الصَّوْمِ لِمَنْ أَغْفَلَهَا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ.
وَوَقْتُ السُّحُورِ وَقْتُ مُبَارَكٍ.

فَهُوَ وَقْتُ النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)).

وَقَدْ أَثْنَى الرَّبُّ سُبْحَانَهُ عَلَى الْمُسْتَغْفِرِينَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَقَالَ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وَقَالَ: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

وَالْقِيَامُ لِلسُّحُورِ سَبَبٌ لِإِدْرَاكِ هَذِهِ الْفَضَائِلِ، وَنَيْلِ بَرَكَاتِ الدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِإِذْنِ اللَّهِ.
وَفِي السُّحُورِ مُخَالَفَةٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((فَصَلُّ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكَلَةُ السَّحْرِ)).

فَهُمْ لَا يَتَسَحَّرُونَ، وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِالسُّحُورِ.

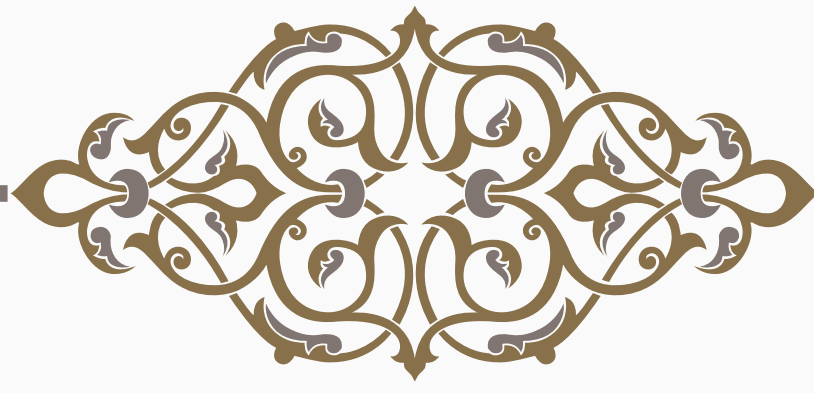
وَيَسِّنُ التَّسْحِرَ بِالتَّمْرِ.

فَصَحَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ)).

أي: مِنْ خَيْرِ مَا يَأْكُلُهُ الْمُؤْمِنُ عِنْدَ وَقْتِ السَّحْرِ اسْتِعْدَادًا لِلصِّيَامِ: التَّمْرُ.

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَنَا عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَالِاتِّزَامِ بِهَدْيِهِ فِي كُلِّ شَأْنٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ.
وَأَخْرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس الثامن

رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ، هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ بَيْنَهُ أتمَّ بَيَانٍ، مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَفْضَلِ رُسُلِهِ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ للقرآنِ حُصُوصِيَّةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَا يُدَانِيهِ فِيهَا شَهْرٌ آخَرُ؛ ففِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أَنْزَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي لَيْلَةِ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ مُبَارَكَةٍ مِنْ لِيَالِي هَذَا الشَّهْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ((كَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ [أَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ))، فِي مَدَارِسِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ مَعَ جَبْرِيلَ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَوْضَحُ إِشَارَةٍ إِلَى أَنَّهُ أَوْلَى الشُّهُورِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مِنْ حُصُوصِيَّةِ وَارْتِبَاطِ بِالْقُرْآنِ.

بَلْ إِنَّ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ مِنْ أَجْلِ مَقَاصِدِهَا سَمِعُ الْقُرْآنَ يُتْلَى فِي هَذِهِ اللَّيَالِي الْمُبَارَكَاتِ.

وقد كان الصّالحون من هذه الأُمَّة يزدادُ إقبالهم على القرآن في شهرِ رَمَضانَ في الصَّلَاةِ وغيرِها، وكانوا يُكثرونَ من تلاوته، وتكرارِ ختمه؛ اغتنامًا للزَّمانِ المُبارِكِ.

فما أحوَجنا -أيها الإخوة- إلى الإقبالِ على كتابِ اللهِ تعالى! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرِجُونَ تِجْرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وفي صحيحِ مُسَلِّمٍ من حديثِ أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ)).

وفي صحيحِ مُسَلِّمٍ -أيضًا- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ اللهِ ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة)).

وثبت عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يُقَالُ لصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَاِرْتَقِ، وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنَزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةِ تَقْرَؤُهَا)). ﴿٣٠﴾

فينبغي -أيها الإخوة- تعاهد القرآن، والحذر من هجره في رمضان وفي غير رمضان، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، ففي هذه الآية تنبيه للمسلم ليكون كثير التعاهد للقرآن؛ كي لا يكون من الهاجرين له. ومن صور هجر القرآن التي تدخل في الآية: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، فقوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي: يتبعونه حق اتباعه، ويعملون به حق عمله.

وقد ضرب الله تعالى لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلاً، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، فشبَّههم بالحمار الذي لا يعقل ما يحمل؛ إذ لم ينتفعوا بما في التوراة، وهذا المثل يلحق من لم يعمل بالقرآن ولم يفهم معانيه.

وتأملوا حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال:

(كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: (إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْهُ [أَي: الْقُرْآنَ] رَسَائِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيُنْفِذُونَهَا بِالنَّهَارِ).

وَعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، قَالَ: (إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا)، قِيلَ: كَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟ قَالَ: (أَي: لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَأْتِمِرُوا بِأَوْامِرِهِ، وَيَنْتَهُوا عَنِ نَوَاهِيهِ، وَيَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ).

كَيْفَ يَتَعَامَلُ مُسْلِمٌ بِالرَّبِّ، وَهُوَ يَقْرَأُ وَيَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]؟

وَكَيْفَ يُفَرِّطُ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ يَقْرَأُ وَيَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]؟

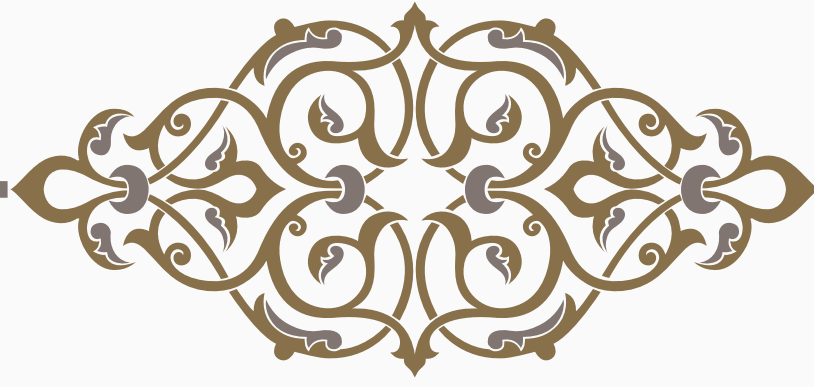
وَكَيْفَ تَتَسَاهَلُ الْمَرْأَةُ فِي حِجَابِهَا وَتَتَهَاوَنُ بِهِ وَهِيَ تَقْرَأُ وَتَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وَقَوْلَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾

[الأحزاب: ٥٩]؟

وكيف يتساهلُ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ في إِطْلَاقِ البَصْرِ إلى المَحْرَمَاتِ وهم يقرؤون ويستمعون
 قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ
 اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾
 [النور: ٣٠، ٣١]؟

فما أحرانا -أيها الأحبة- في هذا الشهر -شهر القرآن- أن نُقبِلَ عليه تلاوةً وسماعًا، وأن
 نتدبره ونتفهم معانيه، وأن نمثّل أوامره، وأن ننتهي عن نواهيهِ!

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا من أهل القرآن؛ فهم أهل الله وخاصته،
 وأن يُنورَ بصائرنا بكتابه، ويهدينا به إلى جنّاته.
 وصلى الله وسلّم على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



المجلس التاسع

رَمَضانُ فُرْصَةٌ لِلتَّغْيِيرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾
[الفرقان: ٦٢]، وَأُصَلِّيْ وَأُسَلِّمْ عَلَى مَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانُ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَبَعْدَ انْقِضَاءِ رَمَضانَ الْماضِي رَبِّما وَقَفَ الْبَعْضُ عَلَى حَقِيقَةِ مَوْلِمَةٍ، تَرَدَّدُ أَصْدَاؤُهَا فِي نَفْسِهِ
فَتَمَلُّوهُ حُزْنًا، مَفادُها: أَنه بَعْدَ رَمَضانَ رَجَعَ إِلى عاداتِهِ السَّيِّئَةِ الَّتِي كان يَعتادُها، وَرَجَعَ إِلى
المَحَرَّمَاتِ وَالتَّفْرِيطِ فِي الطَّاعَاتِ وَالواجِبَاتِ.

حِينَئِذٍ يُعَاتِبُ الْمُسْلِمُ الصَّادِقُ نَفْسَهُ: كُنْتُ قَادِرًا عَلَى تَغْيِيرِ نَفْسِي لَكِنِّي تَكاسَلْتُ أَوْ تَعَلَّلتُ
بِالأشغالِ.

كان بإمكانني فعلُ كثيرٍ من الطَّاعَاتِ، لَكِنِّي تَقاعَسْتُ!

كان بإمكانني الامتناعُ عن الذُّنوبِ، فلم أَقوَ على تركِها!

وها هو رَمَضانُ قد أَقبلَ، فهل نَتَغَيَّرُ أم نَعوِدُ إِلى التَّكاسُلِ وَالتَّعَلُّلِ؟ أُنسَتِغِلُ الفُرْصَةَ فَيَتَبَدَّلُ

مسار حياتنا؟ أم نهدر الأوقات فتسلُّ من بين أيدينا فارغة؟

أيها الأحبة:

إنَّ لشهرَ رَمَضانَ تميِّزًا عن بقيةِ الشُّهورِ، فهو فرصةٌ حقيقيَّةٌ لتغييرِ النَّفسِ وإصلاحِها. فحريٌّ بالمؤمنِ أن يجعلَ رَمَضانَ موسمًا للتَّغييرِ باكتسابِ الفضائلِ والتَّخلِّيِّ عن الرَّذائلِ. وإنَّ من أبرزِ وسائلِ التَّغييرِ في رَمَضانَ: حُضورَ مجالِسِ الذِّكْرِ وأماكنِ العبادةِ، فيتعلَّقُ قلبُه بالمساجِدِ، ويكثرُ الخطأُ إليها، وينتظرُ الصَّلَاةَ بعدَ الصَّلَاةِ، ومما يُقوي هِمَّتَه وَيَشُدُّ عَزيمَتَه كثرةُ المُقبلينَ على المساجِدِ في رَمَضانَ.

ففي صحيحِ مُسلمٍ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا، ويرفعُ به الدَّرَجَاتِ؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: إسباغُ الوُضوءِ على المكارِهِ، وكثرةُ الخطأِ إلى المساجِدِ، وانتظارُ الصَّلَاةِ بعدَ الصَّلَاةِ، فذلِّكم الرِّباطُ، فذلِّكم الرِّباطُ)).

فسمَّى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هذه الأعمالَ مُرابطةً؛ لكونِها تُسدُّ طُرُقَ الشَّيطانِ على النَّفسِ، وتَقهرُ الهوى.

وروى البخاريُّ ومُسلمٌ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((صلاةُ الرَّجُلِ في الجماعةِ تُضعِفُ على صلاتِهِ في بيته وفي سوقِهِ خَمْسًا وعِشرينَ ضعْفًا؛ وذلك

أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَا يَخْرُجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارحمه، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظِرَ الصَّلَاةَ)). ﴿٤٥﴾

أخي الحبيب:

إِنَّ الْإِخْتِلَاطَ بِالصَّالِحِينَ فِي أَشْرَفِ عَمَلٍ - وَهُوَ الصَّلَاةُ - وَفِي أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى - وَهِيَ الْمَسَاجِدُ - مَعَ حُضُورِ الْمَلَائِكَةِ وَصَلَاتِهِمْ عَلَى الْعَبْدِ: لَهُ أَثَرُهُ الْعَظِيمُ فِي هِدَايَتِهِ وَصَلَاةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَهَذَا الْوَسْطُ الْإِيمَانِيُّ وَالصُّحْبَةُ الطَّيِّبَةُ، مَعَ الْإِبْتِعَادِ عَنِ رِفَاقِ السُّوءِ: لَهُ أَثَرُهُ فِي التَّغْيِيرِ الْمَشُودِ.

كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ نَفْسَهَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّغْيِيرِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فَالْعَبْدُ الْمُتَمِّمُ لِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَخُشُوعِهَا يَسْتَنْيرُ قَلْبُهُ، وَيَزْدَادُ إِيمَانُهُ، وَتَقْوَى رَغْبَتُهُ فِي الْخَيْرِ، وَتَقِلُّ أَوْ تَعْدَمُ رَغْبَتُهُ فِي الشَّرِّ.

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ! قَالَ: إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ)).

أخي المسلم:

إِنَّ رَمَضَانَ لِفُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ لِلانْتِصَارِ عَلَى هَوَى النَّفْسِ وَتَرْوِيضِهَا، وَغَرْسِ فِضَائِلِ عُلْيَا فِيهَا.

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ قَدْ تَرَكَ بِاخْتِيَارِهِ مَا أُبِيحَ لَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ فِي سَاعَاتِ النَّهَارِ دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ بِذَلِكَ يَخْطُو خَطْوَةً عَظِيمَةً نَحْوَ تَرْبِيَةِ النَّفْسِ عَلَى تَرْكِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ، وَعَلَى مِرَاقَبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَشِيَّتِهِ. وَإِنَّ فِي رَمَضَانَ لِفُرْصَةً كَبِيرَةً لِلانْتِصَارِ عَلَى الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تَسِيطِرُ عَلَى الْعَبْدِ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا فُطِمَتْ عَنِ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ طِيلَةَ هَذَا الشَّهْرِ كَانَ أَعْوَنَ لَهَا أَنْ يَفْطِمَهَا بَقِيَّةَ عَامِهِ، بَلْ عُمُرَهُ كُلَّهُ.

أخي المسلم:

إِنَّ فِي رَمَضَانَ فُرْصَةً لِتَغْيِيرِ عَادَاتِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، وَالْإِسْرَافِ فِيهَا وَالتَّفَنُّنِ فِي إِعْدَادِ الْأَطْعِمَةِ وَالْمَشْرُوبَاتِ.

وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْكُفَّارَ الَّذِينَ لَا هِمَّةَ لَهُمْ سِوَى الْأَكْلِ وَالتَّمَتُّعِ بِمَلَذَّاتِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [محمد: ١٢].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلّم يقول: ((المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء)).

فهذا تمثيل لرضا المؤمن باليسير من الدنيا، وحرص الكافر على الكثير منها، فهم المؤمن مرضاة ربّه تعالى لا التوسّع في المأكول؛ فيكفيه القليل، وعكسه الكافر؛ فهمه الاستمتاع بالطيبات في الدنيا، فيأكل بنهم وشراهة ولا يكتفي، فكأنه يأكل في سبعة أمعاء، مع عدم وجود البركة.

واحدز يا عبد الله من الانشغال بوسائل التواصل الاجتماعي، وقضاء الساعات في تقليبها والتنقل بينها دون نفع يعود عليك في دينك أو دنياك؛ فإنها من أكبر المشتتات عن فعل الخير، وإحداث التغيير المنشود.

وجرب يوماً أن لا تشغل هذه الأمور، وانظر بعدها كم أنجزت في تلاوة القرآن وتدبره، وكم استفدت من وقتك بما يعود بالنفع عليك.

فكن جاداً وحازماً قبل أن يخرج رمضان وأنت في غاية الحسرة على فواته.
أيها الأخ الحبيب:

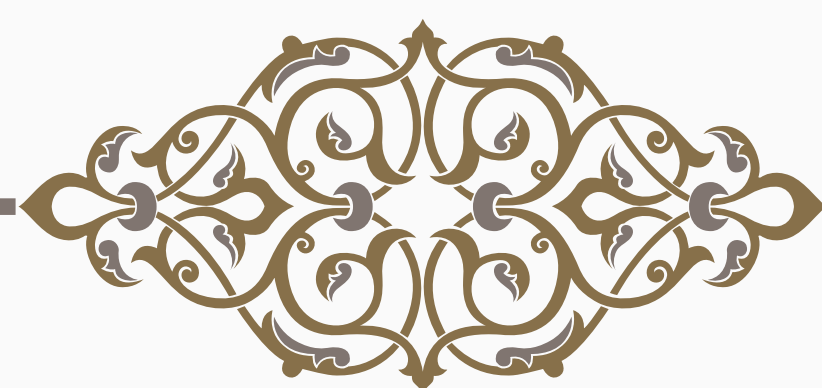
إن رمضان فرصة لتصحيح العلاقة مع الله تعالى.

فرصة لتغيير السلوكيات.

فرصة للتغير في التعامل مع الناس.

فُرْصَةٌ لِلتَّخَلِّيِّ عَنِ كُلِّ خُلُقٍ مَنبُودٍ، وَالتَّحَلِّيِّ بِكُلِّ خُلُقٍ مَحْمُودٍ.
فَبَادِرْ فَوْرًا بَوَاضِعِ خُطَّتِكَ لِإِنجَازِ مَشْرُوعِ التَّغْيِيرِ فِي رَمَضانَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ،
وَأكْثِرْ مِنْ دُعَائِهِ.

اللَّهُمَّ غَيِّرْ أَحْوالَنَا إِلَى الْأَفْضَلِ وَالْأَرْشَدِ، وَنَسْأَلُكَ يَا رَبَّنَا إِيمانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ،
وَمُرَافقَةً نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى جَنانِ الْخُلْدِ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس العاشر

رَمَضَانُ وَتَرْبِيَةُ الْأَوْلَادِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، أَمْرَ بَأَنْ نَقِي أَنْفُسَنَا وَأَهْلِينَا مِنَ النَّارِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦].

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ كُلَّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)).

وَانْطِلَاقًا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَهَذَا الْحَدِيثِ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ يَسْتَشْعِرُ الْمَسْئُولِيَّةَ الَّتِي تُنَاطُ بِهِ تَجَاهَ أَوْلَادِهِ، وَأَهْمِيَّةَ تَرْبِيَّتِهِمْ وَتَوْجِيهِهِمْ لِمَا فِيهِ نَفْعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالدَّعْوَةُ الْحَثِيثَةُ إِلَى الْجِتْهَادِ فِي رَمَضَانَ لَا تَعْنِي أَنْ يَتَفَرَّغَ الْمُرَبِّي لِنَفْسِهِ وَيَنْسَى مَنْ تَحْتَ مَسْئُولِيَّتِهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

إِنَّ لَرَمَضَانَ وَقَعًا كَبِيرًا فِي نَفُوسِ أبنائنا وبناتنا؛ لكثرة ما يترددُ على مسامِعِهِم عنه، واهتمامِ النَّاسِ به، وَعَبْرَ ارتباطِهِم فيه بنظامِ حياةٍ يخالفُ نظامَ الحياةِ المعتادِ، وكُلُّ هذا يُشعِرُهُم بأنَّ رَمَضَانَ ليس شهرًا كبقيةِ الشُّهُورِ، وهذا الشُّعُورُ ينبغي استنثارُهُ بتوجيهِ الحديثِ إليهم عن معنى رَمَضَانَ وأهمِّيَّتهِ وأخلاقِ الصَّائمين فيه؛ وتعويدِهِم على الطَّاعاتِ، وزرعِ عِظَمَةِ رَمَضَانَ في نفوسِهِم، وليس هو مجردَ ذكرياتٍ جميلةٍ فحَسْبُ، بل يَغْرِسُ كذلك آثارًا إيجابيةً عميقةً في نفوسِهِم.

وَمِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِ الاستفادَةِ مِنْ رَمَضَانَ لِتربيةِ الأَوْلادِ: تقويةُ العقيدةِ والمعانيِ الإيمانيَّةِ في نفوسِهِم.

وخصوصًا مع انتشارِ موجاتِ الإلحادِ التي غزت حتَّى الأطفالَ، مع سهولةِ الوُقُوعِ فيه بِشُبُهاتٍ واهيةٍ تنطلي على عقولِهِم الصَّغيرةِ.

فِيَعْمَقُ الوالِدُ والمُرَبِّيُّ صِلَةَ النِّشْءِ باللهِ مِنْ خِلالِ العِباداتِ التي تُؤدِّي في رَمَضَانَ؛ طلبًا لمرضاةِ سُبْحانَه، وَيُعْمَقُ صِلَتَهُم بِكِتابِهِ الَّذِي يُقْبَلُونَ على قِراءَتِهِ وتدارُسِهِ، وصِلَتَهُم بِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَتَذَكرونَ حَدِيثَهُ، وبِاليومِ الآخِرِ الَّذِي يَلْتَمِسُونَ فيه الأجرَ الَّذِي وَعَدوا به، ففيه يَفْرَحُ الصَّائِمُ إِذا لَقِيَ رَبَّهُ ونالَ أَجرَهُ، وَيَتَشَوَّفُ إلى الدُّخولِ

مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَيَنْشَرِحُ صَدْرُهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تُفْتَحُ، وَأَنَّ أَبْوَابَ النَّارِ تُغْلَقُ فِي رَمَضَانَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْ أَهَمِّ الْجَوَانِبِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَحْرِصَ عَلَيْهَا كُلُّ مُرَبٍّ: التَّشْجِيعُ عَلَى الصَّيَامِ وَلَوْ بِمَكَافَاتٍ مُحْفَظَةٍ.

فَيُؤَمِّرُ الْأَطْفَالَ بِالصَّيَامِ وَيُشَجِّعُونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَعَوَّدُوهُ، وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ فِيهَا بَعْدُ.

رَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: ((أَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ: مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلَيْتَمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا

فَلْيَصُمْ. فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ - أَي: الصُّوفِ

المصبوغ - فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ)).

وَمِنْ جَوَانِبِ الاسْتِفَادَةِ مِنْ صِيَامِ رَمَضَانَ: تَعْلِيمُ الْإِخْلَاصِ وَالْمِرَاقَبَةِ لِلَّهِ تَعَالَى

وَمِرَاعَاةَ حُدُودِهِ.

فَالصَّوْمُ عِبَادَةٌ يَتَعَلَّمُ مِنْهَا الصَّغِيرُ الْإِخْلَاصَ الْحَقِيقِيَّ لِلَّهِ، وَمِرَاقَبَتَهُ وَحَدَهُ فِي السَّرِّ. فَهُوَ

يَمْتَنِعُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَبِإِمْكَانِهِ أَنْ يَأْكُلَ خُفِيَةً، لَكِنَّهُ يَتَرَبَّى عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ

يَسْتَشْعِرُ مِرَاقَبَةَ اللَّهِ لَهُ وَاطِّلَاعَهُ عَلَيْهِ. وَفِي ذَلِكَ تَنْمِيَةٌ لِلْوِازِعِ الدِّينِيِّ لَدَيْهِ، فَيَمْنَعُهُ مِنْ فِعْلِ

مَا لَا يَحِلُّ لَهُ وَإِنْ كَثُرَتْ مُغْرِيَاتُهُ.

وَمِنْ جَوَانِبِ الاستفَادَةِ مِنْ صِيَامِ رَمَضَانَ: تَعَلُّمُ الصَّبْرِ وَتَقْوِيَةُ الإرَادَةِ.

فَالطِّفْلُ تَشْتَدُّ عَزِيمَتُهُ وَتَقْوَى إِرَادَتُهُ بِالْبُعْدِ عَنِ الطَّعَامِ رَغْمِ الْجُوعِ، وَعَنِ الْمَاءِ رَغْمِ الْعَطَشِ، وَهُمَا فِي مُتَنَاوَلِ يَدَيْهِ.

وَمِنْ جَوَانِبِ الاستفَادَةِ مِنْ صِيَامِ رَمَضَانَ: تَعْظِيمُ قَدْرِ النُّعْمَةِ.

فَحِينَ يُحْرَمُ الطِّفْلُ الصَّائِمُ لِسَاعَاتٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ سَيَشْعُرُ بِقَدْرِ النُّعْمَةِ، وَيَحْنُ إِلَيْهَا، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ دَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا فَقَدَهَا شَعَرَ بِقِيمَتِهَا، وَيُوجَّهُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا.

وَمِنْ جَوَانِبِ الاستفَادَةِ مِنْ صِيَامِ رَمَضَانَ: تَعْزِيزُ الشُّعُورِ بِالْمُحْتَاجِينَ.

فصِيَامُ الْأَبْنَاءِ أَوْ الْبَنَاتِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ يُنَمِّي الْإِحْسَانَ بِمَعَانَاةِ الْمُحْتَاجِينَ، وَفِي ذَلِكَ شُعُورٌ بِالانْتِمَاءِ إِلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمُشَارَكَةِ فِي هُمُومِ أَفْرَادِهَا، وَمَحَاوَلَةِ التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَفِيدَ الْوَالِدُ وَالْمُرَبِّيُّ مِنْ ذَلِكَ فِي زَرْعِ مَعَانِي الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ وَالتَّكَاوُلِ فِي نُفُوسِ النَّشْءِ الصَّغِيرِ.

وَمِنْ جَوَانِبِ الاستفَادَةِ مِنْ رَمَضَانَ: اصْطِحَابُهُمْ لِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ.

وَفِي ذَلِكَ تَعْلِيمُهُمُ الصَّلَاةَ وَتَعْوِيدُهُمْ عَلَيْهَا، وَبَثُّ رُوحِ الْجَمَاعَةِ فِيهِمْ، وَتَعَرُّفُهُمْ عَلَى فَضِيلَةِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى الْخَيْرِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ.

وَمِنْ جَوَانِبِ الاستفَادَةِ مِنْ رَمَضَانَ: غَرْسُ قِيَمَةِ التَّعَاوُنِ وَالإِثَارِ بِالصَّدَقَةِ وَالْجُودِ بِالإِطْعَامِ.

فِيُشَارِكُ الْوَالِدُ أَبَاهُ فِي شِرَاءِ الطَّعَامِ، وَتُشَارِكُ الْبِنْتُ أُمَّهَا فِي إِعْدَادِهِ أَحْيَانًا، ثُمَّ تَقْدِمُهُ إِلَى ذَوِي الْفَاقَةِ، أَوْ دَفَعَ الْمَالِ إِلَى جَمْعِيَّاتٍ خَيْرِيَّةٍ مِنْ مَصْرِ وَفِيهِمُ الْخَاصُّ.

وَمِنْ جَوَانِبِ الاستفَادَةِ مِنْ رَمَضَانَ: حَمْلُ الْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ عَلَى التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرَاتِ. وَهَذَا يَشْمَلُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَتَعَلَّقُ بِالصِّيَامِ وَالإِطْعَامِ وَالْقِيَامِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. فَهَذَا صَامٌ يَوْمًا فِي حِينٍ أَنْ الْآخَرَ قَدْ أَفْطَرَ ثُمَّ تَحَسَّرَ، وَهَذَا صَلَّى التَّرَاوِيحَ كَامِلَةً فِي الْمَسْجِدِ اللَّيْلَةَ، وَتِلْكَ قَدْ خَتَمَتْ قَبْلَ الْآخَرِينَ، وَهَكَذَا، فَيَدْبُ فِيهِمُ الْحِمَاسُ لِلتَّنَافُسِ فِي الْخَيْرِ.

وَمِنْ جَوَانِبِ الاستفَادَةِ مِنْ رَمَضَانَ: تَعْوِيدُهُمْ عَلَى النِّظَامِ وَالانضِبَاطِ. فَإِنَّ الْأَطْفَالَ بِطَبِيعَتِهِمْ مَوْلَعُونَ بِاللَّعِبِ، فَإِذَا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ يُؤْمَرُونَ بِتَرْكِ اللَّعِبِ وَغَيْرِهِ؛ لِأَدَائِهَا، وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْ خِلَالِ الصِّيَامِ أَنَّ هُنَاكَ وَقْتًا يُسْمَحُ فِيهِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَوَقْتًا لِلْامْتِنَاعِ عَنْهُ... وَهَكَذَا. فَيَعْتَادُ عَلَى تَنْظِيمِ أَوْقَاتِهِ، وَتَنْضِبِطِ حَيَاتِهِ، وَيُرَاعِي كُلَّ عَمَلٍ فِي وَقْتِهِ الْمُحَدَّدِ لَهُ.

وَمِنْ جَوَانِبِ الاستفَادَةِ فِي رَمَضَانَ: تَنْسِيقُ بَرَامِجٍ مُفِيدَةٍ لِلْأَطْفَالِ. وَمِنْ ذَلِكَ عَقْدُ مَجَالِسَ لِدَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ يَجْرِي فِيهَا تَصْحِيحُ التَّلَاوَةِ، أَوْ تَسْمِيعُ بَعْضِ السُّورِ،

أَوْ التَّحَدُّثُ عَنْ مَعَانِيهَا بِاخْتِصَارٍ، مَعَ رِبْطِ ذَلِكَ بِالِاقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛
حَيْثُ كَانَ يَتَدَارَسُ الْقُرْآنَ مَعَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَمَضَانَ.

وَمِنْ ذَلِكَ تَدَارَسُ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، أَوْ سَرْدُ الْقِصَصِ النَّافِعَةِ، كَقِصَّةِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
أَوْ إِقَامَةُ مُسَابَقَاتٍ خَفِيفَةٍ، وَفِي ذَلِكَ صَرْفٌ لَهُمْ عَنِ الْإِنْشِغَالِ بِالْأَجْهَازَةِ الْإِلِكْتْرُونِيَّةِ.

وَمِنْ جَوَانِبِ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ رَمَضَانَ: تَعْرِيزُ التَّرَابِطِ الْأَسْرِيِّ فِي نُفُوسِ الْأَبْنَاءِ.

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ - أَيْهَا الْأَحِبَّةُ - يَشْتَكُونَ مِنْ انْشِغَالِ الْأَهْلِ عَنْهُمْ، وَتَجِدُ أَفْرَادَ
الْأُسْرَةِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَنْ كَلَّ مِنْهُمْ مُسْتَعْرِقٌ فِي عَالِمِهِ الْخَاصِّ عَبْرَ جَوَالِهِ أَوْ غَيْرِهِ.

وَفِي رَمَضَانَ مَجَالٌ لِلِابْتِعَادِ عَنْ تِلْكَ الْأَجْهَازَةِ أَوْ التَّقْلِيلِ مِنْهَا، مَعَ الْحِرْصِ عَلَى اجْتِمَاعِ الْأُسْرَةِ
عَلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ، وَالِاسْتِعْدَادِ مَعًا لِلصَّلَاةِ، وَالِاجْتِمَاعِ لِعَقْدِ مَجَالِسِ قُرْآنِيَّةٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ أَعْمَالٍ يُمْكِنُ أَنْ يَشْتَرِكَ فِيهَا الْجَمِيعُ، فَيَكُونُ فِي رَمَضَانَ فُرْصَةٌ لِلشُّعُورِ بِأَهْمِيَّةِ الْعَائِلَةِ،
وَجَمَالِ الْمَشَارَكَةِ بَيْنَ أَفْرَادِهَا، وَفُرْصَةٌ لِتَجْدِيدِ الْمَحَبَّةِ وَتَوْثِيقِ الرِّوَابِطِ، وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَقَايَةُ
لَهُمْ مُسْتَقْبَلًا مِنَ الْكَثِيرِ مِنَ الْإِنْحِرَافَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَأَخِيرًا: لَا نَنْسَى - أَيْهَا الْإِخْوَةُ - دَوْرَ الْقُدُورَةِ الْعَمَلِيَّةِ فِي هَذِهِ الْجَوَانِبِ، وَهِيَ خَيْرٌ مُعِينٍ
عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

فَلَا يَقُولُ الْمُرَبِّيُّ مَا لَا يَفْعَلُ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَيَنْسَى نَفْسَهُ، بَلْ يَكُونُ أُسْوَةً حَسَنَةً يَتَّخِذُهَا

رعيته، وكفى بالقُدوة مُهَيِّجًا لِلخَيْرَاتِ، وهي تُغني عن كثرة التَّوجِيهَاتِ.

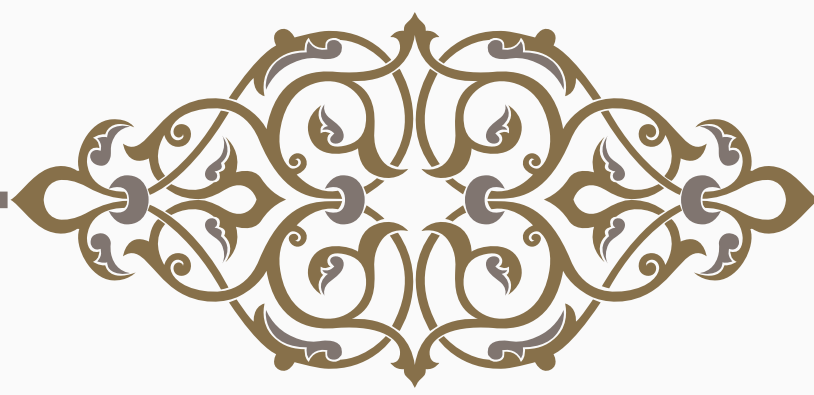
ولا ينبغي أن يتشاقل كُلُّ مُرَبٍّ عن إعمالِ تلك الأفكارِ وَغَيْرِهَا، فلن تستغرق الكثير من الوقتِ والجُهدِ، ويعودُ ذلك عليه - إن شاء اللهُ - بِالبركةِ فيها.

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.

اللهم أَصْلِحْ لَنَا فِي ذُرِّيَّاتِنَا، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وآخرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس الحادي عشر

فاستبقوا الخيرات (١)

الحمد لله القائل: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، والصلاة والسلام على خير البريات، وآله وأصحابه أُولي العزائم والمكرّمات.

أَمَّا بَعْدُ:

فكثيراً ما يقرن الله تعالى في كتابه بين الإيمان وعمل الصالحات، فتجد في عشرات الآيات: ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وفي ذلك دلالة على أنّ الإيمان وحده لا يكفي لدخول الجنة، بل لا بدّ من العمل الصالح.

والعمل الصالح أفضل ما يدخره المؤمن، قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] أي: وأعمال الخير الصالحة التي تبقى لصاحبها في الآخرة الباقية، ويبقى نفعها وثوابها: أفضل جزاء عند ربك من زينة الحياة الدنيا الفانية، وهي أفضل ما يؤمّله الإنسان، ويرجو نفعه وعواقبه الحميدة.

والعمل الصالح يعني الحياة الطيبة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً...﴾ [النحل: ٩٧].

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ تَمَنُّهُ الْجَنَّةُ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

فَحَرِيٌّ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَبَادِرَ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، خَاصَّةً فِي رَمَضَانَ الَّذِي تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّاتِ. ﴿

وَكَانَ مِنْ هَدْيِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الاجْتِهَادُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ. ﴿

وَمِنْ ذَلِكَ: عِنَايَتُهُ الْخَاصَّةُ بِالْقُرْآنِ؛ فَالْقُرْآنُ أَنْزَلَ فِي رَمَضَانَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)). ﴿

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ لَيْلَ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ نَهَارِهِ؛ فِيهِ اللَّيْلُ سُكُونُ النَّفْسِ وَرَاحَةُ الْبَالِ، فَيَكُونُ أَدْعَى لِلْفَهْمِ؛ حَيْثُ تَنْسَكِبُ كَلِمَاتُ اللَّهِ فِي قُلُوبِنَا، فَتَنْفَتِحُ بَصِيرَتُنَا، وَتَوْقِظُنَا مِنْ

غَفَلْتِنَا؛ لِنَعْقِلَ عَنِ اللَّهِ مَعَانِيَ آيَاتِهِ.

وعلى المسلم أن يستحضر عظمة القرآن وعظمة المتكلم به وعظمة الزمان الفاضل النازل فيه، فيعظم عنده شأن القرآن، وتعظم رغبته فيه. وليستحضر الأجور الهائلة المترتبة على تلاوته.

وليستحضر أن القرآن ليس مجرد كتاب يقرأه من أجل البركة فحسب، بل يقرأه ونيته العمل به، وغايته رضا ربه ودخول جنته.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمِسُورَةِ عَلَى الصَّائِمِ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - وَهِيَ ذَاتُ أَجُورٍ عَظِيمَةٍ وَمَنَافِعَ كَثِيرَةٍ: الْإِكْتَارُ مِنَ الذِّكْرِ. ﴿

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وَوَعَدَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ بِالْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ قَوْمًا مِنْ دَابِهُمِ الْإِنهَمَاكُ فِي كَثْرَةِ الذِّكْرِ، فَقَالَ:

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وَالْإِنسَانُ إِذَا أَكثَرَ مِنْ ذِكْرِ شَيْءٍ أَحَبَّهُ، فَكثرة الذكر تغرس في وجداننا مشاعر الحب

وَالْأَنسِ بِاللَّهِ.

وَالذِّكْرُ يُنِيرُ قَلْبَ الْإِنسَانِ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَيَقْطَعُ عَنْهُ كُلَّ مَا يُعْرِقِلُ سَيْرَهُ إِلَى اللَّهِ.

الذِّكْرُ مُرْتَبِطٌ بِالطَّمَانِينَةِ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وَالذِّكْرُ سِلَاحٌ فِي وَجْهِ الصُّعُوبَاتِ لِلتَّغْلِبِ عَلَيْهَا ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)).

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ: الْجُودُ وَبَدَلُ الصَّدَقَاتِ، وَتَفْطِيرُ الصَّائِمِينَ.

فالإطعامُ مُسْتَحَبٌّ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، لَكِنَّهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَشَدُّ اسْتِحْبَابًا.

وقد تقدّم أنّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم كان أجودَ ما يكونُ في رَمَضَانَ حينَ يلقاه جبريلُ عليه السَّلامُ كُلَّ لَيْلَةٍ، فيُدارِسُهُ الْقُرْآنَ، فهو أجودُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

فكان جُودُهُ يَبْلُغُ الْغَايَةَ فِي رَمَضَانَ؛ بسببِ لِقَائِهِ بِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومُدارِسةِ الْقُرْآنِ مَعَهُ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَكْرَمَ وَأَكْثَرَ عَطَاءً وَفِعْلاً لِلْخَيْرِ، وَأَعْظَمَ نَفْعًا لِلْخَلْقِ مِنَ الرِّيحِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي يُرْسِلُهَا اللَّهُ بِالْغَيْثِ وَالرَّحْمَةِ.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ:

إِنَّ رَمَضَانَ شَهْرٌ تَكَافُلٍ وَتَرَاحُمٍ وَتَفَقُّدٍ لاحتياجاتِ النَّاسِ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي يَعِي حَقِيقَةَ رَمَضَانَ لَنْ يُدِيرَ ظَهْرَهُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ تَتَفَقَّدَ النَّاسَ فَتَوَاسِيَّ صَائِمًا بَوَاجِبِ طَعَامٍ، أَوْ تَكْفِي أُسْرَةَ فَقِيرَةً مُؤْنَةً أَحْتِيَاجَاتِهِمُ
الغذائية.

إِنَّ السَّعَادَةَ وَالْبَسْمَةَ الَّتِي أُسْهَمَتْ فِي صُنْعِهَا لَهُمْ إِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُهَا إِلَيْكَ، هَذَا وَإِنْ كَانَ مَرْغَبًا
فِي فِعْلِهِ فِي عُمُومِ الْأَوْقَاتِ، فَكَيْفَ بِفِعْلِهِ فِي رَمَضَانَ؟

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: (إِعَانَةُ الْفُقَرَاءِ بِالْإِطْعَامِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سُنَنِ الْإِسْلَامِ).

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْجُودَ فِي رَمَضَانَ مُسْتَحَبٌّ؛ لِأَنَّ النَّاسَ فِي شُغْلِ بِالْعِبَادَةِ. فَإِذَا قَامَ الْأَغْنِيَاءُ
مِنْهُمْ بِأَمْرِ الْمُحْتَاجِينَ تَفَرَّغُوا لِلْعِبَادَةِ مِثْلَهُمْ.

إِنَّ إِطْعَامَ الطَّعَامِ شَأْنُهُ عَظِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ، فَبِالطَّعَامِ قِوَامُ الْأَبْدَانِ، وَفِي إِطْعَامِهِ تَهْدِيبُ
النُّفُوسِ، وَتَخْلِيصُهَا مِنَ الْأَنَانِيَّةِ وَالْجَشَعِ، وَفِيهِ زِيَادَةُ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الْأَبْرَارِ فِي صُورَةِ مُشْرِقَةٍ تَتَجَلَّى فِيهَا رُوحُ الْمَحَبَّةِ
لِلْآخَرِينَ، فَقَالَ: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

وَصَحَّ عَنْ صُهَيْبِ الرَّومِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((خَيْرُكُمْ
مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ)).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ((أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ

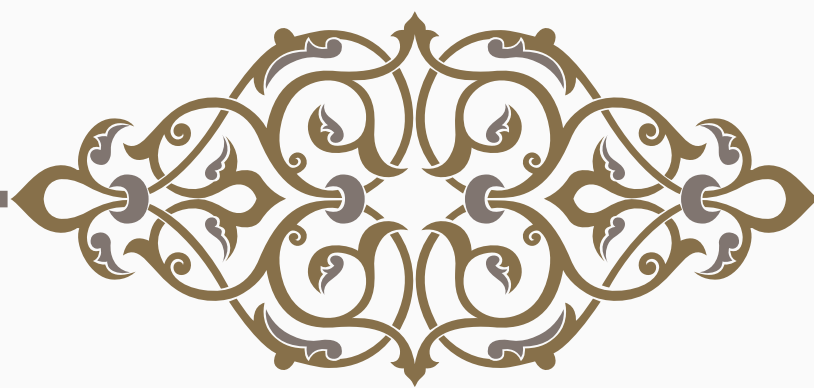
وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)).

وَصَحَّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ)).

فَلْيَكُنْ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ عَلَى بَالٍ، وَلتَكُنْ دَوْمًا مَنَارَةً إِحْسَانٍ، رَائِدًا فِي الْخَيْرِ، سَبَّاقًا فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ، مُبَادِرًا أَيَّمَا كُنْتَ... وَلَوْ بِالْقَلِيلِ.

وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ...

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ،
وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلسُ الثاني عشرُ فاستَبِقُوا الخَيْرَاتِ (٢)

الحَمْدُ للهِ وحده، جَعَلَ الدُّنْيَا مَزْرَعَةً لِلآخِرَةِ، وَحَثَّ عَلَى الْمُسَابَقَةِ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَى الْمَغْفِرَةِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَّةِ.
أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ من أبرَزِ معالمِ رَمَضَانَ - أيُّهَا الأَحِبَّةُ - : صلاةُ التَّرَاوِيحِ .

والتَّرَاوِيحُ: جمعُ تَرْويحَةٍ، وهي المرَّةُ الواحدةُ مِنَ الرَّاحَةِ؛ فكان النَّاسُ يُطِيلُونَ القيامَ فيها والرُّكُوعَ والسُّجُودَ، فإذا صَلَّوا أربَعًا استراحوا، ثمَّ استأنفوا الصَّلَاةَ أربَعًا، ثمَّ استراحوا، ثمَّ صَلَّوا ثلاثًا.

والمرادُ بها: قيامُ شهرِ رَمَضَانَ.

ومن فضائلِ قيامِ شهرِ رَمَضَانَ: أَنَّهُ سَبَبٌ لَغُفْرَانِ ما تَقَدَّمَ مِنَ الذُّنُوبِ.

ففي صحيحِ مُسْلِمٍ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَغِّبُ في قيامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ، فيقولُ: ((مَنْ قامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)).

وقوله: ((إيمانًا واحتسابًا)) أي: تصديقًا بفضل هذه الليالي، وفضل العمل فيها، وابتغاءً لوجه الله ورغبةً في الثواب من عند الله تبارك وتعالى.

ومن صلى القيام مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة كاملة.

فصح عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ الرَّجُلَ إِذَا

صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ)).

((حَتَّى يَنْصَرِفَ)) أي: حتى ينتهي الإمام من صلاته.

ويستحبُّ أداءُ صلاةِ التراويحِ جماعةً في المسجدِ.

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى ذَاتَ

لَيْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ، فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ

الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: قَدْ رَأَيْتُ

الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، وَذَلِكَ فِي

رَمَضَانَ)). وفي رواية لهما: ((خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعَجَزُوا عَنْهَا)). فالنبيُّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى صَلَاةَ التَّارَوِيحِ بِالْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، وَلَمْ يَمْنَعَهُ مِنَ الْاسْتِمْرَارِ بِالْجَمَاعَةِ

إِلَّا تَخَوُّفَهُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَى الْأُمَّةِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ فِعْلَهَا جَمَاعَةً فِي الْمَسْجِدِ أَفْضَلُ.

وليس لصلاة التراويح حدٌّ مُعَيَّنٌ لا يُزَادُ عليه ولا يُنْقَصُ منه.

ففي الصَّحِيحِينَ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا رَأَيْتَ أَنَّ الصُّبْحَ يُدْرِكُكَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ)).

لَابْنِ عُمَرَ: مَا مَثْنَى مَثْنَى؟ قَالَ: تُسَلِّمُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ.

فالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْينْ عَدَدَ الرَّكْعَاتِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْمُصَلِّي قَبْلَ الْوَتْرِ. وَلَكِنَّ هَدْيَهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً.

فروى مُسَلِّمٌ عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِيهَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ - وَهِيَ الَّتِي يَدْعُو النَّاسُ الْعَتَمَةَ - إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الْفَجْرُ، وَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلْإِقَامَةِ)).

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - : أَدَاءُ الْعُمْرَةِ.

فإنَّ الْأَفئِدَةَ تَهْفُو لِزِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِرَغْبَةٍ عَارِمَةٍ وَشَوْقٍ عَظِيمٍ، وَخِصُوصًا فِي رَمَضَانَ؛ فِيهِ يَجْتَمِعُ شَرَفُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَشَرَفُ الْعِبَادَةِ.

وَالْعُمْرَةُ هِيَ: التَّعَبُّدُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَالسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَالتَّحَلُّلِ مِنْهَا

بالحلقِ أو التَّقْصِيرِ.

والمُتَابَعَةُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ تَنْفِي الْفَقْرِ وَالذُّنُوبِ.

فقد صحَّ عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ

وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)).

وَالْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا.

فروى الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا)).

أَي: مَنْ اعْتَمَرَ عُمْرَتَيْنِ مُتَابِعَتَيْنِ كَانَتْمَا سَبَبًا فِي تَكْفِيرِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ صَغَائِرِ الذُّنُوبِ.

وَالْعُمْرَةُ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ لَامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: ((... إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاَعْتَمِرِي؛ فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً)).

وفي روايةٍ لهما: ((إِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً - أَوْ حَجَّةً مَعِي -)).

قال بعضُ العُلَمَاءِ: (إِنَّمَا عَظُمَ أَجْرُ الْعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ لِحُرْمَةِ الشَّهْرِ، وَلشِدَّةِ النَّصَبِ وَالْمَشَقَّةِ

الَّلَّاحِقَةِ مِنْ عَمَلِ الْعُمْرَةِ فِي الصَّوْمِ).

والعُمرةُ في رَمَضانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الثَّوَابِ، لَا أَنَّهَا تَقُومُ مَقَامَهَا فِي إِسْقَاطِ الْفَرَضِ؛ فَالاعتِمَارُ لَا يُجْزِي عَنْ حَجِّ الْفَرِيضَةِ.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِرَمَضانَ: الْاعتِكَافُ

والمَرادُ به: الإِقامةُ في المَسْجِدِ بِنِيَّةِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْلًا كَانَ أَوْ نَهَارًا.

وَأَفْضَلُ الْاعتِكَافِ زَمَانًا مَا كَانَ فِي رَمَضانَ، وَآكَدُهُ مَا كَانَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْهُ.

ففي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ

الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ)).

وَكُلُّ إِقامةٍ فِي مَسْجِدٍ لِلَّهِ تَعَالَى بِنِيَّةِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ فَهِيَ اعْتِكَافٌ، سِوَاءٌ قَلَّتِ الْمُدَّةُ أَوْ كَثُرَتْ؛

حَيْثُ لَمْ يُخَصَّ الشَّارِعُ عَدَدًا.

وَأَفْضَلُ أَمَاكِنِهِ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، ثُمَّ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ، ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْجَامِعُ

الَّذِي تُقَامُ فِيهِ الْجُمُعَةُ.

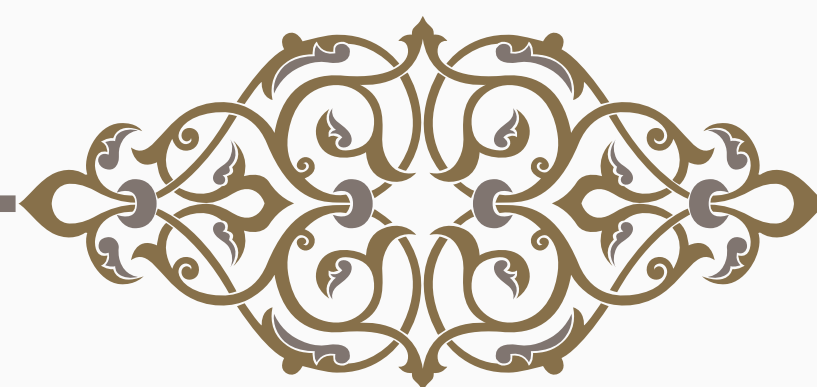
إِخواني:

إِنَّ الْاعتِكَافَ خَلْوَةٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، يَنْقَطِعُ الْمُسْلِمُ بِهَا عَنْ مَشَاغِلِ الْحَيَاةِ وَمُلْهِياتِهَا، وَيَتَفَرَّغُ

لِعِبَادَةِ رَبِّهِ وَطَاعَتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَيَأْنَسُ بِذِكْرِهِ وَيَلْهَجُ بِدُعَائِهِ، وَهُوَ عَزْلَةٌ مَعَ النَّفْسِ،

فِيحَاسِبُهَا وَيُصَحِّحُ مَسَارَهَا، وَيَجَدُّ عَهْدَهُ مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ،
وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس الثالث عشر

أخلاق الصائمين (١)

الحمد لله العليم الخلاق، قَسَمَ بَيْنَ عِبَادِهِ الْأَرْزَاقَ وَالْأَخْلَاقَ، وَجَعَلَ أَكْمَلَهُمْ إِيْمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ كَانَ أَحْشَى الْخَلْقِ لِلَّهِ وَأَتْقَى.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الصَّوْمَ وَالْأَخْلَاقَ قَرِينَانِ، وَالصَّلَاةُ بَيْنَهُمَا وَثِيقَةٌ جِدًّا؛ ففِي الصَّوْمِ تَهْدِيبٌ لِلْأَخْلَاقِ، وَفِيهِ تَصْفِيَةٌ مِمَّا يَعْلَقُ بِالنَّفْسِ مِنْ خِصَالِ سَيِّئَةٍ، وَتَرْوِضُهَا عَلَى اكْتِسَابِ خِصَالِ طَيِّبَةٍ.

ثَبَّتَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ الرَّجُلَ لِيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ بِاللَّيْلِ، الظَّامِيِّ بِالْهَوَاجِرِ)).

وَقَدْ اجْتَمَعَ الثَّلَاثَةُ فِي رَمَضَانَ: الصَّوْمُ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ... فَمَا أَعْظَمَ رَمَضَانَ! وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ غَنِيمَةٍ!

وَصَحَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهْرُ)).

وهذا محمولٌ على مَنْ صام ولم يُخْلِصِ النِّيَّةَ، أو لم يتجنَّبِ الكَذِبَ والبُهْتَانَ والغِيبَةَ، ونحوها من المناهي؛ فيحصلُ له الجوعُ والعطشُ، ولا يحصلُ له الثَّوابُ، أو هو الذي يُفطرُ على الحرامِ ولا يحفظُ جوارِحَه عن الآثامِ.

فَالصَّوْمُ يَمْنَعُ مِنَ الرَّفَثِ.

ففي الصَّحِيحِينَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفَثُ)).

وَالرَّفَثُ: هُوَ الْكَلَامُ الْبِذِيءُ الْفَاحِشُ، فَالصَّائِمُ يَحْفَظُ صِيَامَهُ، وَيَصُونُ لِسَانَهُ، وَخِصُوصًا مَعَ كَثْرَةِ الْفُحْشِ وَالتَّفَحُّشِ فِي عَصْرِنَا.

فَالأَلْفَاظُ النَّابِيَّةُ وَالنَّكَاتُ الْبِذِيَّةُ غَدَتِ فَكِيهَةَ الْمَجَالِسِ، وَصَارَتْ شَيْئًا مُتَدَاوِلًا مَأْلُوفًا فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَبَعْضِ الْبَرَامِجِ الْإِعْلَامِيَّةِ دُونَ حَيَاءِ!

وَالصَّوْمُ يَمْنَعُ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْجَاهِلِينَ وَالسُّفَهَاءِ.

رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الصَّيَّامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرُفَثُ وَلَا يَجْهَلُ)).

أَي: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَهْلِ، كَالصَّيَّاحِ، فَتَرَاهُ مَبْتَعِدًا عَنِ السُّفْهِ

وَالهَمَجِيَّةُ، متأدبًا بآدابِ الإسلامِ، محتفظًا بهدوئه ووقاره.

وفي الصَّحِيحِينَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْحَبْ)).

فنهى عن إحداثِ الضَّجَّةِ والصَّيَاحِ أثناءَ المِجَادَلَةِ أو الخِصَامِ ونحوِهِمَا.

وَالصَّوْمُ يَمْنَعُ مِنَ المِقَاتِلَةِ وَالشُّجَارِ وَالسَّبَابِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّخَلُّقِ بِالْحِلْمِ وَكَظْمِ الغَيْظِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ.

وَإِنَّ مِنَ المَوْسِفِ - أَيُّهَا الأَحَبُّ - أَنَّ الصَّيَامَ يَرْتَبُطُ عِنْدَ البَعْضِ بِالشَّرَاسَةِ وَالعَصَبِيَّةِ، وَحِدَّةِ الطَّبَعِ وَتَعَكُّرِ المِزَاجِ. فَلنَعْمَلْ عَلَى إغَاءِ هَذِهِ الصُّورَةِ المِخَالِفَةِ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الصَّائِمُ.

فقد روى الشَّيْخَانِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((... فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امرؤٌ صائمٌ)).

أَي: فَلْيُعْلِنْ بلسانه ذلك لِيَكْفَ خَصْمُهُ عَنْهُ، فَيَكُونَ قَوْلُهُ هَذَا مُتَضَمَّنًا لِنهيه عن الشَّتْمِ، ولتوبيخه عليه.

قال اللهُ تَعَالَى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ أي: اقبل ما تيسر من أخلاق الناس، فإن وجدت منهم خلقاً طيباً فاقبله، وما جاءك من غير ذلك فاصفح عنه وتجاوزه.

ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالمعروف - وهو الذي يُقره الشرع والفطر السليمة، وتطمئن إليه النفوس المستقيمة -، وأن يعرض عن جهل عليه، فإذا سفة وأساء إليه فلا يؤاخذه بزلة فقال: ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥].

وَالصَّوْمُ يَحْمِلُ عَلَى سَلَامَةِ الصَّدرِ. ﴿

صحَّ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر، يُذهبن وحر الصدر)). ﴿

((يُذهبن وحر الصدر)) أي: تُزيل ما به من الغش والحقد، أو الغيظ، أو النفاق.

أيها الإخوة:

إنَّ العداوة والتدابُرَ بين المسلمين أمرٌ يُبغضه اللهُ سبحانه، وهو من أسبابِ عَدَمِ مَغْفِرَةِ اللهِ

للإنسان، فكما لم يُطَهَّرْ قلبه فيكون سَلِيماً تَجَاهَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، قد لا يُطَهَّرُهُ اللهُ مِنْ ذُنُوبِهِ.

وقد روى مسلمٌ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((تُفْتَحُ

أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا،

أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا)).

فالأعمال تُعْرَضُ عَلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلُهُ وَهُوَ صَائِمٌ، كَمَا صَحَّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بِخِلَافِ مَنْ

يُرْفَعُ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي عَدَاوَةٍ مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَخُصُوصًا إِذَا كَانَ مِنْ أَرْحَامِهِ.

وَمَا يَدُلُّ عَلَى خُطُورَةِ الْمُخَاصَمَةِ وَأَنَّهَا سَبَبٌ فِي الْحِرْمَانِ مِنَ الْخَيْرِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ

عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: ((خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَنَا بَلِيلَةَ

الْقَدْرِ، فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، فَتَلَاحَى فُلَانٌ

وَفُلَانٌ، فَرَفَعَتْ)).

فَخَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُمْ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ أَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ، فَوَجَدَ رَجُلَيْنِ يَتَخَاَصِمَانِ

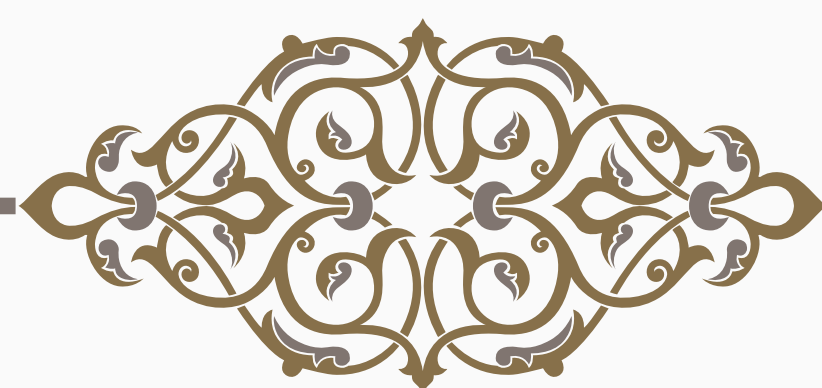
وَيَتَنَازَعَانِ، فَرَفَعَ الْعِلْمُ بِوَقْتِهَا.

وللحديثِ بَقِيَّةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ...

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ،
وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

[للمزيد: آدابُ الصَّيَامِ - موسوعة الآداب الشرعية](#)

[للمزيد: موسوعة الأخلاق والسلوك](#)



المجلسُ الرَّابِعُ عَشَرَ

أَخْلَاقُ الصَّائِمِينَ (٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَنَسْتَكْمِلُ الْكَلَامَ الَّذِي بَدَأْنَاهُ فِي الْمَجْلِسِ السَّابِقِ عَنْ أَخْلَاقِ الصَّائِمِينَ، فَالصَّوْمُ يَهْدُبُ الْأَخْلَاقَ، وَيَصْفِي النَّفْسَ مِمَّا يَعْلُقُ بِهَا مِنْ خِصَالِ سَيِّئَةٍ، وَيَرَوِّضُهَا عَلَى اكْتِسَابِ الْخِصَالِ الطَّيِّبَةِ.

فَالصَّوْمُ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - يَمْنَعُ مِنَ الْكَذِبِ. ﴿٤﴾

فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)). ﴿٤﴾

وَالْمَرَادُ بِقَوْلِ الزُّورِ: الْكَذِبُ، وَالْمَرَادُ بِالْعَمَلِ بِهِ: الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ.

وَهُنَاكَ الْآنَ بَرَامِجٌ وَحِسَابَاتٌ وَمَقَاطِعُ إِعْلَامِيَّةٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا قَائِمَةٌ أَسَاسًا عَلَى التَّفَنُّنِ فِي تَقْدِيمِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْكَذِبِ، كَصُنْعِ الْفُكَاهَةِ لِإِضْحَاكِ الْمُشَاهِدِينَ، أَوْ اخْتِلَاقِ الْأَخْبَارِ لِإِثَارَةِ إِعْجَابِ النَّاسِ، وَهُنَاكَ صُحُفٌ مُتَخَصِّصَةٌ فِي تَلْفِيقِ الْفَضَائِحِ وَبَثِّ الْإِشَاعَاتِ لِتَرْوِجِ

سُوقِهَا، فليكن الصَّائِمُ على حَذَرٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَالصَّوْمُ يَدْعُو إِلَى الصَّدَقِ. ﴿٤﴾

وَأَوَّلُ مَا يَتَعَلَّمُهُ الصَّائِمُ فِي شَأْنِ الصَّدَقِ هُوَ صِدْقُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَالصَّيَامُ عَمَلٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَبِمَكَانِهِ أَنْ يَدَّعِيَ الصَّيَامَ، ثُمَّ يَأْكُلُ خُفِيَةً.

وَالصَّوْمُ مُعِينٌ عَلَى الصَّدَقِ فِي الْأَعْمَالِ؛ فَالصَّائِمُ يَكُونُ مُتَقَرِّبًا بِصِيَامِهِ لِمَعْبُودِهِ، وَمُصَدِّقًا بِمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمَثُوبَةِ، مُبْتَعِدًا عَنِ التَّلَطُّحِ بِالذُّنُوبِ، مُقْبِلًا بِكَامِلِ قَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ، وَبِذَلِكَ يَتطَابَقُ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، فَيَكُونُ صَادِقًا.

وَالصَّوْمُ يَحْمِلُ عَلَى الْعِفَّةِ. ﴿٥﴾

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَيْنَا الصَّيَامَ لِتَحْقِيقِ التَّقْوَى بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ، فَيَتَرَبَّى الصَّائِمُ بِصَوْمِهِ عَلَى الْعِفَافِ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ)). ﴿٦﴾

يعني: أن من لم تكن عنده مؤنة الزواج فليلزم الصوم؛ فمن اعتاده سكنت شهوته؛ لأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل؛ فإنه يقوى بقوتها، ويضعف بضعفها، كما أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والصوم يضيق تلك المجاري.

أيها الإخوة:

إن المغريات اليوم منتشرة في كل مكان، والوقوع في فخها سهل ميسر، والصيام من أبرز الوسائل التي تُعين على مواجهة هذه المغريات وصدّها، وخصوصاً في هذا الزمن الذي صارت الدعوة فيه إلى الزنا والشذوذ ومقدماتها أمراً مكشوفاً صريحاً، وتتفنن فيه وسائل الإعلام وقنوات التواصل حتى أصبح أمراً مألوفاً لا يُستنكر وقوعه.

والصوم يشد العزم ويربي على قوة الإرادة. ﴿٤﴾

فالصوم يدرب الصائم على ضبط النفس والإمساك بزمامها حتى تنقاد بإذن الله إلى ما فيه سعادتها، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله، فإذا أطلق المرء لنفسه عنانها أوقعته في المهالك، وإذا ملك أمرها تمكّن من قيادتها وتوجيهها وتهذيبها، وهذا لا يتحقق إلا لمن صام صوماً شرعياً مستشعراً تقرباً إلى الله تعالى، ومنتظراً الثواب منه سبحانه.

والصائم الذي أرغم نفسه وحملها على اجتناب ما هو مباح لها في الأصل قادرٌ بإذن الله على أن يجتنب ما حرم عليه من باب أولى في بقية العمر.

وَالصَّوْمُ يُعَلِّمُ الصَّبْرَ. ﴿٤٠﴾

وقد سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَضَانَ شَهْرَ الصَّبْرِ، فَصَحَّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ)). ﴿٤١﴾

فَالصَّوْمُ يَجْمَعُ أَنْوَاعَ الصَّبْرِ الثَّلَاثَةَ؛ فَإِنَّ فِيهِ: صَبْرًا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَصَبْرًا عَنْ مُحَارِمِ اللهِ كَالْمُفْطَرَاتِ، وَصَبْرًا عَلَى أَقْدَارِ اللهِ الْمُؤَلِّمَةِ، كَالْحِرْمَانِ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ. وَفِي امْتِنَاعِ الصَّائِمِ عَنِ الرَّدِّ عَلَى مَنْ سَابَّهُ أَوْ قَاتَلَهُ صَبْرٌ أَيْضًا، فَإِنَّهُ يَحْبِسُ نَفْسَهُ، وَلَا يَنْدَفِعُ لِلانْتِقَامِ، وَلَا يُقَابِلُ الإِسَاءَةَ بِالإِسَاءَةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

فَيُنَالُ الصَّائِمُ بِإِذْنِ اللهِ جِزَاءَ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ يَقُولُ اللهُ فِيهِمْ: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وَالصَّوْمُ يَحْمِلُ عَلَى الاتِّصَافِ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالشَّفَقَةِ. ﴿٤٢﴾

فَالصَّوْمُ يَمَلَأُ الْقَلْبَ رَحْمَةً وَرِقَّةً وَعُطْفًا، وَالْمُسْلِمُ الَّذِي يَتَقَلَّبُ فِي رِفَاهِيَةِ مَنْ الْعَيْشِ

ولا يَنْقُصُهُ شَيْءٌ مِنْ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ، حِينَ يُقَاسِي أَلَمَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ،
ومرارة الحِرْمَانِ أَثْنَاءَ صَوْمِهِ، وَيَسْتَشْعِرُ مَعَانَاةَ غَيْرِهِ، يَسْتَشِيرُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ الشَّفَقَةَ، وَيَحْمِلُهُ
عَلَى تَذْكَرِ إِخْوَانِهِ الْمُحْتَاجِينَ، وَتَفْقُدِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ، وَالتَّصَدُّقِ عَلَيْهِمْ.

نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُحَسِّنَ أَخْلَاقَنَا، وَيَرْزُقَنَا التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ.

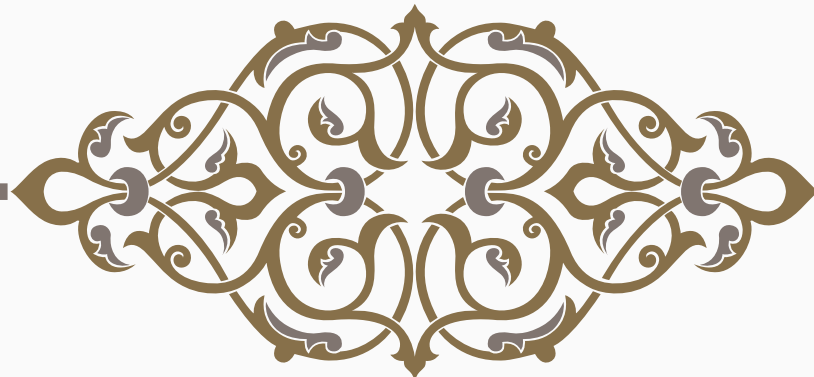
وَأَنْ يَهْدِينَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَيُجَنِّبَنَا الْفُحْشَ وَالْبِدَاءَ.

وَأَخْرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

[للمزيد: آداب الصَّيام - موسوعة الآداب الشرعية](#)

[للمزيد: موسوعة الأخلاق والسلوك](#)



المجلس الخامس عشر

الوقاية من فتنه الشهوات (١)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ خَيْرٍ مَنْ أَدَّى حَقَّ رَبِّهِ وَقَضَى.

أما بعد:

أيها الأحبة:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا ابْتُلِيَ بِهِ النَّاسُ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْإِغْرَاقَ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمُلْهِيَاتِ، مَعَ سُهولةِ الْحُصُولِ عَلَيْهَا، وَضَعْفِ الْوَازِعِ الْإِيمَانِيِّ. وَإِنَّ ذَلِكَ لَجَدِيرٌ بِإِعْدَادِ الْعُدَّةِ وَتَهْيِئَةِ النُّفُوسِ لِمُوَاجَهَةِ خَطَرِهِ، وَصَدِّ تَمُدُّدِهِ، وَتَحْصِينِ الشَّبَابِ ضِدَّهُ. فَإِنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لَا يَدَّخِرُونَ وَسْعًا لِتَزِينِ تِلْكَ الْقَبَائِحِ فِي النُّفُوسِ، وَيَسْتَمْتُونَ فِي التَّفْنُنِ لَجَذْبِ النَّاسِ إِلَيْهَا بِشَتَّى الْوَسَائِلِ؛ حَتَّى يَسْهَلَ الْوُقُوعُ فِي فُحْهَا، وَيَعْتَادَ النَّاسُ أَمْرَهَا، وَيَنْسَلِخَ مِنَ الْقَلْبِ قُبْحُهَا. وَلِتَعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ حُدُودًا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَلَّا يَقْرَبَهَا، وَحُدُودًا مِنَ الْوَاجِبَاتِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَلَّا يَتَعَدَّهَا، فَيَحْفَظُ حُدُودَ اللَّهِ وَيَرَاعِي حُرْمَاتِ اللَّهِ، وَيُعَظِّمُ مَا عَظَّمَ اللَّهُ.

﴿وَمَنْ يُعَظِّمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَعِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

ومقاطعُ العُريِّ والخلاعةِ والفُجورِ التي تُنفثُ سُموئُها في كُلِّ مَكَانٍ مِنَ الأَرْضِ طَرِيقُ سَهْلٍ لِلوُقُوعِ فِي الفُواحِشِ، وَفِي مُشاهَدَتِها تَجاوزُ حُدُودِ اللهِ، وَاسْتِخفافُ بِمَحارِمِ اللهِ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُوَ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وَالنَّهْيُ عَنِ القَرِبانِ يَلزِمُ مِنْهُ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الفاحِشَةِ مَسافَةً تَفصِلُكَ عَنْها؛ حَتَّى لَا تَقَعَ فِيها، وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الحِمَى أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيها، ((وَإِنْ حِمَى اللهُ فِي أَرْضِهِ مَحارِمَهُ))، كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْها.

إِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْعُو إِلَى الفَحْشاءِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وهُوَ حَرِيصٌ عَلَى تَزِينِ السَّيِّئَاتِ لِلإنسانِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تَأَلَّاهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ٦٣].

وَقَدْ نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنِ الوُقُوعِ فِي حِبالِ الشَّيْطَانِ الحَرِيصِ عَلَى مَظاهِرِ العُريِّ والفُجورِ بِكُلِّ أَنْواعِهِ، فَقَالَ: ﴿يَبْنِي عَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَويكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِهِمَا إِنَّهُ يَرِنُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وَقَالَ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرانًا مُّبِينًا *

يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ^ط وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَئِكَ مَا أُنْهَمُ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ
عَنْهَا مَحِيصًا ﴿النساء: ١١٩-١٢١﴾.

أخي المسلم:

إِنَّ الْوُقُوفَ دُونَ انْهِزَامِ أَمَامِ ذُنُوبِ الْخَلَوَاتِ، وَصَدَّتْ تِلْكَ الْهَجُومَاتِ الشَّيْطَانِيَّةَ بِكُلِّ ثَبَاتٍ:
هُوَ الْمَوْقِفُ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْمُسْلِمِ الصَّادِقِ الْجَادِّ فِي نَيْلِ رِضَا اللَّهِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنْ غَضَبِهِ وَسَخَطِهِ.
وَمَا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: مُرَاقَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْحَيَاءُ مِنْهُ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
(إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)). ﴿

فَالْمَانِعُ مِنْ فِعْلِ الْقَبَائِحِ هُوَ الْحَيَاءُ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيَاءٌ انْهَمَكَ فِي كُلِّ فَحْشَاءٍ وَمُنْكَرٍ.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا
لَا يَرْضَى مِنْ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي: هم حريصون على إخفاء قبائحهم عن الناس، فيتوارون
منهم تجنباً للفضيحة؛ إمّا حياءً، أو خوفاً منهم، أو لئلا يُنكروا عليهم سوء أفعالهم.

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: أي: لا يُبالون بنظرِ الله تعالى إليهم، واطّلاعه على

قبائحهم التي يبارزونها، وهو الذي لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالهم، فهو أحقُّ أن يُخافَ ويُستحيا منه جلَّ وعلا.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ فالله تعالى قد أحاط علمًا بأعمالهم، وأحصاها عليهم، حتى يجازيهم عليها. وفي هذا وعيدٌ شديدٌ، وكفى به زاجرًا.

فإلى أولئك الذين تَلَفَّتُوا حَوْلَهُمْ لِيَتَأَكَّدُوا مِنْ خُلُوقِ الْمَكَانِ تَمَامًا قَبْلَ أَنْ يَفْتَحُوا شَاشَاتِهِمْ: ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]؟

إلى أولئك الذين أَمْسَكُوا بِأَجْهَزَتِهِمْ فَرِحِينَ، وَأَطْلَقُوا فِيهَا أَبْصَارَهُمْ لَتَرْتَعَ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الرَّذِيلَةِ، أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]؟

وَمَا يُعِينُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ هَذَا الْغَزْوِ الشَّهْوَانيِّ: تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى.

وتقوى الله هي أقوى ما يتحصَّنُ به العبدُ، والفرصةُ سانحةٌ لنيلها من خلالِ صِيَامِ رَمَضَانَ، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فمن أعظمِ الأمورِ التي يُثَبِّتُهَا شَهْرُ رَمَضَانَ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ غَرْسُ التَّقْوَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَرَقَابَةُ الْمُسْلِمِ عَلَى نَفْسِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَالْحَذَرُ مِنَ الذُّنُوبِ، لَا سِيَّما ذُنُوبِ الْخَلَوَاتِ؛ فَإِنَّ

المُبَارَزَةُ لِلَّهِ تَعَالَى بِهَا قَدْ تُسْقِطُ الْعَبْدَ مِنْ عَيْنِهِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْإِنْتِكَاسَاتِ.

فَالصَّائِمُ فِي رَمَضَانَ يَخْشَى عَلَى فِسَادِ صَوْمِهِ أَوْ إِنْقَاصِ أَجْرِهِ بِمُقَارَفَةِ الشَّهَوَاتِ، فَالصَّوْمُ يُعَزِّزُ تَقْوَاهُ، وَالتَّقْوَى تَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَانْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللَّهِ.

وَإِذَا انْقَطَعَ الْمُسْلِمُ فِي النَّهَارِ عَنِ الْمُبَاحَاتِ مِنْ أَكْلِ وَشُرْبِ وَغَيْرِهِ، فَذَلِكَ أَدْعَى لِتَرْوِيضِ نَفْسِهِ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ.

وَمَا يُعِينُ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ ذُنُوبِ الْخَلَوَاتِ وَمُشَاهَدَةِ الْمَحْرَمَاتِ: الْخَوْفُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ.

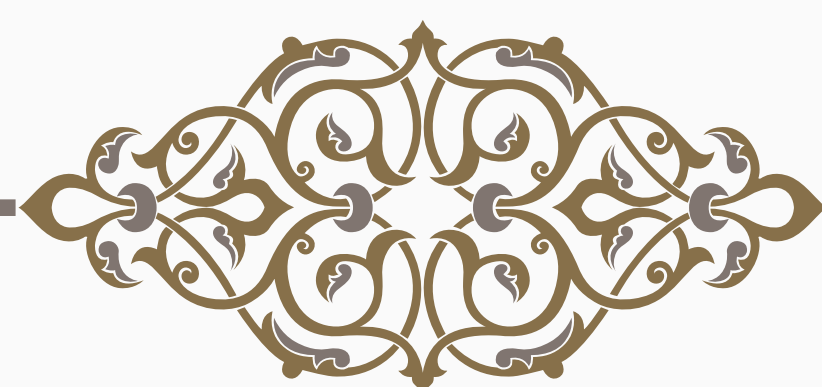
فَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَايِدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فَيَايِدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)).

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: ((فَيَايِدُو لِلنَّاسِ)) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ بَاطِنَ الْأَمْرِ يَكُونُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَأَنَّ خَاتِمَةَ السُّوءِ تَكُونُ بِسَبَبِ دَسِيسَةٍ بَاطِنَةٍ لِلْعَبْدِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا النَّاسُ، إِمَّا مِنْ جِهَةِ عَمَلِ سَيِّئٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَتلك الخصلة الخفية توجبُ سوءَ الخاتمة عند الموتِ).

وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ...

نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يُجَنِّبَنَا وَنُجِّنَّ شَبَابَنَا وَفَتِيَاتِنَا الشَّهَوَاتِ

والمُلْهياتِ والمَحَرَّماتِ، وأن يُثَبَّتَ قُلُوبَنَا على طاعته،
وأن يُجَنَّبَنَا الفِتَنَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَّنَ، وأن يجعلنا من عبادِهِ الصَّالِحِينَ.
وآخرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.
وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس السادس عشر

الوقاية من فتنة الشهوات (٢)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فاستكمالاً للمجلس السابق عن الوسائل المعينة على مواجهة الشهوات والملهيات المحرمة، وترك ذنوب الخلوات.

فمما يُعينُ على ذلك: تذكُّرُ نعيمِ الجنةِ.

فبعد أن قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ...﴾ [آل عمران: ١٥].

والجزاء من جنس العمل، فكما تجنب المسلم فتنة الشهوات من النساء كانت النتيجة جزاءه في الجنة بأزواج مطهرات من كل عيب ظاهر وباطن مما يعترى نساء الدنيا.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنْصِفُهَا - يَعْنِي خِمَارَ رَأْسِهَا - عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)).

فَهَذَا إِخْبَارٌ عَنْ أَنْوَارِ جَمَاهِهَا، وَعَنْ طِيبِ رِيحِهَا، وَعَنْ ظَاهِرِ مَلْبُوسِهَا، فَكَيْفَ بِجَمَاهِهَا وَبِاطْنِ مَلْبُوسِهَا الَّذِي هُوَ نَعِيمٌ مِنَ نَعَمِ الْجَنَّةِ؟

وَتَذَكَّرُ - أَخِي الْمُسْلِمَ - أَنَّكَ قَدْ تُحْرَمُ مِنْ ذَلِكَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ؛ فَإِنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الذُّنُوبِ الصَّغِيرَةِ يَحْوِّئُهَا إِلَى كَبِيرَةٍ، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الْكَبَائِرِ قَدْ يَحْمِلُ عَلَى اسْتِحْلَاحِهَا؛ مِمَّا قَدْ يُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِنْسِلَاحِ مِنَ الدِّينِ.

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: خَشْيَةُ اللَّهِ وَالْخَوْفُ مِنْ عَذَابِهِ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وَتَبَّتْ عَنْ ثُوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا. قَالَ ثُوبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ

إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا)). ﴿٢٣٠﴾

لِذَا فَإِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ مِنَ الْكِبَائِرِ: (إِظْهَارَ زِيِّ الصَّالِحِينَ فِي الْمَلَأِ، وَانْتِهَاكَ الْمَحَارِمِ - وَلَوْ صَغَائِرَ - فِي الْخَلْوَةِ).

فَلْيَخْشَ الَّذِينَ تُسَوَّلُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمُ الْوُقُوعَ فِي ذَلِكَ أَنْ تَشْهَدَ جُلُودُهُمْ وَجَوَارِحُهُمْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَبَكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٠-٢٣].

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ))، وَذَكَرَ مِنْهُمْ: ((وَرَجُلٌ دَعَاةٌ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ)). ﴿٢٣١﴾

وَمَا يُعِينُ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ ذُنُوبِ الْخَلَوَاتِ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ تَعَالَى.

فَفِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَجَمَّعَتْ كُلُّ الْوَسَائِلِ الدَّاعِيَةِ لِلْوُقُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ، إِلَّا أَنَّهُ

امتنع عنها، وكان ذلك صرفاً من الله تعالى له؛ لإخلاصه، فقد قال الله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ [يوسف: ٢٣-٢٤]. وفي قراءة ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾.

ومما يُعينُ على ذلك: صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ والابتعادُ عن مُصَاحِبَةِ أَهْلِ الفُجُورِ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

أي: لا تُطِعْ مَنْ جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا وعبادتنا وعن القرآن، وانشغل عن ذلك بالدُّنيا. كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩].

ومما يُعينُ على ذلك: الدُّعَاءُ.

فادعُ الله تعالى بِالْحَاحِ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ حَبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ.

وَمَا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: الصَّلَاةُ.

فَإِذَا أُدِّيتْ صَاحِبَةً بِطُهورِهَا وَخُشوعِهَا وَفِي مَوَاقِيتِهَا نَهَتْ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَمَا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ بِتَدْبِيرٍ.

فَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ كَالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وَمَا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ: كَثْرَةُ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى.

فَهُوَ حِصْنٌ حَصِينٌ بِإِذْنِ اللهِ.

صَحَّ عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللهُ أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ))، وَذَكَرَ مِنْهَا: ((وَأْمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيرًا، وَمِثْلُ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ حَتَّى أَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ، وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يَنْجُو مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ)).

وَلِيَحْذَرَ الْمُسْلِمُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ مُتَّكِلًا عَلَى رَحْمَةِ اللهِ وَسَعَةِ عَفْوِهِ، وَمُسَوِّفًا التَّوْبَةَ، فَهَذَا أَمْرٌ خَطِيرٌ يُجْرِي الْإِنْسَانَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، حَتَّى يَفْجَأَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ.

وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ
بَأْسُنَا بَيَّتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ *
أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿[الأعراف: ٩٦-٩٩].

نسأل الله أن يُجَنِّبَنَا مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَعْمَالِ وَالْأَدْوَاءِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ

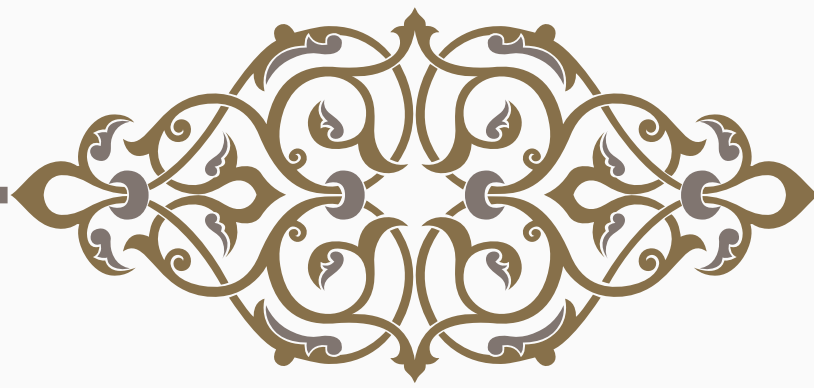
فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ،

وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنَا غَيْرَ مَفْتُونِينَ،

وَنَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس السابع عشر

انتصارات وفتوحات رمضان (١)

الحمد لله الذي تكفل بالنصر لمن ينصره، وجعل النصر من عنده، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وعبيده.

أما بعد:

فقد ترك المسلمون بصمات خالدة، وكانت لهم صولات وجولات تثير الهمم، وتحيي في النفوس الأمل.

ورمضان هو شهر الفتوحات والانتصارات؛ فقد وقعت فيه أعظم انتصارات المسلمين وأكثرها بركة على الإسلام وأهله، ومنها: غزوة بدر الكبرى، وفتح مكة، وعين جالوت، وغيرها.

وأول نصر إسلامي عظيم كان في غزوة بدر: ﴿

وذلك في اليوم السابع عشر من رمضان في العام الثاني للهجرة النبوية.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ندب نفرًا من المسلمين لاعتراض قافلة قريش القادمة من الشام، وعلى رأسها أبو سفيان، وقد علم بخروج المسلمين إليه، فأرسل إلى

قُرَيْشٍ يَسْتَنْفِرُهَا لِاسْتِنْقَازِ تِجَارَتِهَا، وَغَيْرَ مَسَارِهِ، ثُمَّ التَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَمُشْرِكُو قُرَيْشٍ عِنْدَ مَاءِ بَدْرِ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢].

أَي: كُنْتُمْ نَازِلِينَ بِضَفَّةِ وَادِي بَدْرِ، الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمُشْرِكُو قُرَيْشٍ نَازِلُونَ بِضَفَّةِ وَادِي بَدْرِ، الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَصْحَابُ الْإِبِلِ الَّذِينَ مَعَهُمْ تِجَارَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي مَوْضِعِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ مِمَّا يَلِي سَاحِلَ الْبَحْرِ.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال: ٤٢]، أَي: لَوْ اتَّفَقْتُمْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْقِتَالِ فِي مَكَانٍ وَزَمَانٍ مُحَدَّدَيْنِ لَمَا اجْتَمَعْتُمْ.

﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]، فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرِ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ بَيْنَكُمْ؛ لِيَنْصُرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُهْلِكَ الْكَافِرِينَ، وَذَلِكَ أَمْرٌ لَا بَدَّ مِنْ وُقُوعِهِ.

فَالْتَقَى الْجَمْعَانِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْفُرْقَانِ، وَعَدَدُ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، أَي: وَالْحَالُ أَنْكُمْ يَوْمَئِذٍ ضِعْفَاءُ، فَقَلِيلٌ عَدَدُكُمْ وَعُدَدُكُمْ، وَكُنْتُمْ فِي غَيْرِ مَنَعَةٍ مِنَ النَّاسِ.

وَوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ فِي خُرُوجِهِمْ إِلَى بَدْرِ بِأَنَّهم ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

فَخَرَجُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ رِدًّا لِلْحَقِّ، غَيْرَ شَاكِرِينَ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِيَفْتَخِرُوا وَيَتَبَاهُوا بِجَمْعِهِمْ،
وَلِيَمْنَعُوا النَّاسَ مِنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ.

وَخَرَجَ مَعَهُمْ إِبْلِيسُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ
لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

أَيُّ قَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: لَا يُطِيقُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْكُمْ؛ لِكَثْرَتِكُمْ وَقَوَّتِكُمْ.
وَإِنِّي مُجِيرٌ لَكُمْ، وَحَافِظٌ لَكُمْ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (جَاءَ إِبْلِيسُ يَوْمَ بَدْرٍ فِي جُنْدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ،
مَعَهُ رَايَتُهُ، وَالشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مُدَلِجٍ، فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ).

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَبِينًا تَدْبِيرَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنٰكَهُمْ
كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ وَعَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ
مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٣-٤٤].

أَيُّ: اذْكُرْ حِينَ أَرَاكَ اللَّهُ فِي نَوْمِكَ جَيْشَ الْكُفَّارِ فِي بَدْرٍ قَلِيلًا، فَأَعْلَمْتَ أَصْحَابَكَ بِمَا رَأَيْتَ،
فَقَوَّيْتُ قُلُوبَهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ.

ثُمَّ أَرَاهُمُ اللَّهُ فِي الْوَاقِعِ جَيْشَ الْكُفَّارِ قَلِيلًا؛ لِيَتَشَجَّعُوا عَلَى قِتَالِهِمْ، وَقَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِ الْكُفَّارِ

لِيَسْتَهِينُوا بِقِتَالِهِمْ؛ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا مُقَدَّرًا؛ مِنْ قِتَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِهْلَاكِ الْكَافِرِينَ.

وَكَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أَلْقَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ النَّعَاسَ يَوْمَئِذٍ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ، فَقَالَ: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّعَاسَ؛ لِيَكُونُوا آمِنِينَ، لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ خَوْفٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَنَزَلَ عَلَيْهِمْ مَطَرًا؛ لِيُطَهِّرَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَاتِ، وَلِيُذْهِبَ عَنْهُمْ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ، وَلِيُقَوِّيَ قُلُوبَهُمْ، وَتَمْتَلِيَ بِالْيَقِينِ وَالنَّصْرِ، وَتَقْوَى عَلَى الصَّبْرِ وَالْإِقْدَامِ، وَلِيُلبِّدَ لَهُمُ الْأَرْضَ؛ فَتَثَبَّتْ عَلَيْهَا أَرْجُلُهُمْ، وَلَا تَغْوِصَ فِيهَا.

وَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَاشِدُ رَبَّهُ وَيَدْعُوهُ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَا دَامَ يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى

مَنْكِبِيهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كِفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، أي: فأجاب الله تعالى دعاءكم، بأنني مُقَوِّيكُمْ بِالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَأْتُونَ إِلَيْكُمْ مُتَتَابِعِينَ لِلْقِتَالِ مَعَكُمْ، بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ بَعْضٍ.

وَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ((أَنَّ أَبَا جَهْلٍ حِينَ اتَّقَى الْقَوْمَ قَالَ: اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَمْ نَعْرِفْ، فَأَحِنُّهُ [أَي: أَهْلِكُهُ] الْغَدَاةَ، فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتِحَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، وَقَدْ شَجَّعَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ، وَقَلَّلَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ حَتَّى طَمِعُوا فِيهِمْ، خَفَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَفَقَةً فِي الْعَرِيشِ، ثُمَّ انْتَبَهَ، فَقَالَ: أَبَشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، هَذَا جِبْرِيلُ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ، آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ، عَلَى ثَنَائِيهِ النَّقْعُ، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ وَعِدَّتُهُ)).

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ، فَقَالَ: ﴿إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي إِثْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوِطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتُ الْفَارِسِ

يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مُستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد حُطِمَ أنفه [أي: ظهر على أنفه أثر ضربة]، وشقَّ وجهه كضربة السَّوطِ، فاخضرَّ ذلك أجمع! [أي: صار موضع الضربة كله أسوداً] فجاء الأنصاريُّ فحدثَ بذلك رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: صدقتَ، ذلك من مددِ السَّاءِ الثالثة)).

وهرب عدوُّ الله - إبليسُ - لما رأى ذلك. قال اللهُ سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: ((لَمَّا اصْطَفَى النَّاسُ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، وَأَقْبَلَ جَبْرِيلُ إِلَىٰ إِبْلِيسَ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، انْتَزَعَ إِبْلِيسُ يَدَهُ، فَوَلَّى مُدْبِرًا هُوَ وَشِيعَتُهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا سُرَاقَةَ، تَزْعُمُ أَنَّكَ لَنَا جَارٌ؟ قال: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨] وذلك حين رأى الملائكة)).

وانتهت المعركة بانتصارٍ ساحقٍ للمُسلمين على المشركين الذين قُتِلَ منهم سبعون، وأسر سبعون.

وفي الصحيحين عن عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ

على أهلِ بَدْرِ، فقال: اعمَلُوا ما شِئْتُمْ، فقد غفرتُ لكم)). ﴿٤٠﴾

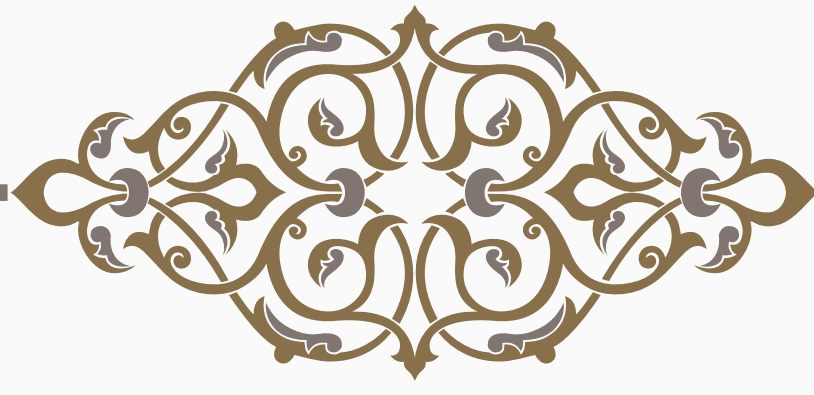
وروى البخاريُّ عن رفاعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: ((جاء جبريلُ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسَلَّمَ فقال: ما تُعَدُّونَ أهلَ بَدْرِ فيكم؟ قال: مِن أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ، أو كَلِمَةً نَحْوَهَا، قال:

وكذلك مَن شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الملائِكَةِ)). ﴿٤١﴾

اللَّهُمَّ انصُرْ دِينَكَ وَكِتَابَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ وَعِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس الثامن عشر

انتصارات وفتوحات رَمَضَانِيَّة (٢)

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾
[غافر: ٥١]، والصلاة والسلام على خير العباد، صلاة وسلاماً دائمين مُتلازمين إلى يوم التناد.
أما بعد:

فمن الانتصارات والفتوحات الشهيرة في رَمَضَانَ: فتح مكة. ﴿

وكان فتحاً عظيماً أعزَّ الله به الإسلام والمسلمين، وكان في رَمَضَانَ من العام الثامن للهجرة.
قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا *
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣].

أي: إذا نصرَك اللهُ - يا محمدُ - على أعدائك، وتحقق لك فتح مكة، ورأيت العرب يدخلون
في الإسلام جماعات كثيرة، فوجاً بعد فوج، فنزّه - يا محمدُ - ربك عن النقائص والعيوب
تنزيهاً مُقترباً بحمده، واطلب منه محو ذنوبك.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يُكثِرُ مِنْ قَوْلِ: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فقلت: يا رسول الله، أراك

تُكثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ! فَقَالَ: خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرِي
 عِلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ،
 فَقَدْ رَأَيْتَهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فَتَحُ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
 فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٢-٣]]. ﴿

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَاصِدًا فَتَحَ مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، وَكَانَ
 صَائِمًا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ مَوْضِعًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَدَعَا بِالْمَاءِ بَعْدَ الْعَصْرِ وَشَرِبَ؛
 لِيَتَابِعَهُ النَّاسُ فِي الْإِفْطَارِ وَيَقْتَدُوا بِهِ بَعْدَ أَنْ شَقَّ عَلَيْهِمُ الصَّيَامُ.

وَقَدْ بَلَغَ قُرَيْشًا مَسِيرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ، فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَغَيْرُهُ
 مِنْ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ وَسَادَتِهَا، فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانَ، وَهُوَ وَادٍ كَبِيرٌ يَقَعُ فِي مِنتَقَةِ مَكَّةَ
 الْمُكْرَمَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانَ قَدْ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يُوقِدَ كُلُّ
 وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَارًا، وَكَانَ عَدَدُهُمْ عَشْرَةَ آلَافٍ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ فَزِعُوا
 وَوَقَعَ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفُ.

وَرَأَاهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذُوهُمْ إِلَيْهِ، فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ،
 فَلَمَّا سَارَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ مَتَّجِهِينَ إِلَى مَكَّةَ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُدْخِلَ الرَّهْبَةَ
 فِي قَلْبِ أَبِي سُفْيَانَ بِرُؤْيَةِ قُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لِعَمَّةِ الْعَبَّاسِ: احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ

الْحَيْلِ، أَي: عِنْدَ مَضِيْقٍ تَزْدَحِمُ فِيهِ الْحَيْلُ؛ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، ففَعَلَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ، وَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ الَّتِي خَرَجَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمُرُّ كَتِيبَةً بَعْدَ كَتِيبَةٍ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَيَرَاهُمْ مُنْظَمِينَ مُتَأَلِّفِينَ، حَتَّى مَرَّتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ أَبُو سُفْيَانَ مِثْلَهَا، فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ، مَنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ هُمُ الْأَنْصَارُ، وَعَلَيْهِمْ سَيِّدُهُمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَعَهُ الرَّأْيَةُ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ»، أَي: يَوْمُ الْمُقْتَلَةِ الْعُظْمَى «الْيَوْمُ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ»، أَي: يَحِلُّ لَنَا الْقِتَالُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ؛ انْتِقَامًا لِمَا صَنَعَهُ الْكُفَّارُ بِالْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو سُفْيَانَ ذَلِكَ ثَارَتْ فِيهِ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ: «يَا عَبَّاسُ، حَبِّدَا يَوْمَ الدُّمَارِ!»، أَي: يَوْمَ الْهَلَاكِ، وَالْمَعْنَى: لَيْتَ لِي قُوَّةً فَأَحْمِي قَوْمِي وَأَمْنَعَهُمْ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّ هَذَا يَوْمٌ يَلْزَمُكَ فِيهِ حِفْظِي وَحِمَايَتِي مِنْ أَنْ يَنَالَنِي مَكْرُوهُ. ثُمَّ جَاءَتْ بَعْدَ ذَلِكَ كَتِيبَةٌ هِيَ أَقْلُ الْكِتَابِ عَدَدًا، وَكَانَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ رَايَتَهُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سُفْيَانَ، ذَكَرَ لَهُ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمُ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ»، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَبَ سَعْدٌ»، أَي: أَخْطَأَ فِيهَا قَالَ، «وَلَكِنَّ هَذَا يَوْمٌ يُعْظَمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ»، أَي: بِإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ حَوْلَهَا، وَأَذَانَ بِلَالٍ عَلَى ظَهْرِهَا، وَإِزَالَةَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْأَصْنَامِ، وَنَحْوِ الصُّورِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ. «وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ»، قِيلَ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْسُونَهَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ فَالنَّبِيُّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَأْتِ لاسْتِحْلَالِهَا، أَوْ الْإِنْتِقَامِ مِنْ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا غَرَضُهُ نُصْرَةُ دِينِ اللهِ، وَعِزَّةُ أَهْلِهَا بِالْإِسْلَامِ.

وَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ طَرِيقَ الْحُجُونِ لِيَدْخُلُوا مَكَّةَ مِنْ أَعْلَاهَا، قِيلَ: الْحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ: تَعْظِيمُ مَكَّةَ، وَقِيلَ: لِأَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْهَا مُخْتَفِيًا فِي الْهَجْرَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا جَاهِرًا عَالِيًا، وَقِيلَ: لِأَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ كَانَ مُسْتَقْبِلًا لِلْبَيْتِ. وَقَدْ قَاوَمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ، فَهَزَمَهُمْ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ يَوْمَ الْفَتْحِ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ عَلَى رَاِحِلَتِهِ مُرْدِفًا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَمَعَهُ بِلَالٌ، وَمَعَهُ عِثْمَانُ ابْنُ طَلْحَةَ مِنَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى أَنَاخَ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِفْتَاحِ الْبَيْتِ فَفَتَحَ، وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ أُسَامَةُ وَبِلَالٌ وَعِثْمَانُ، فَمَكَثَ فِيهَا نَهَارًا طَوِيلًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَاسْتَبَقَ النَّاسُ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ، فَوَجَدَ بِلَالًا وَرَاءَ الْبَابِ قَائِمًا، فَسَأَلَهُ أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَشَارَ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَسَيِّئْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ كَمَا صَلَّى مِنْ سَجْدَةٍ)).

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: ((دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةٍ نُصْبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بَعُودٍ فِي

يده، ويقول: جاء الحقُّ وزهق الباطلُ، جاء الحقُّ وما يُبدئُ الباطلُ وما يُعيدُ)).

هذا وصفُ حالِ الباطلِ -أيها الإخوة-، فعند مجيءِ الحقِّ يَضْمَحِلُّ الباطلُ ويتلاشى؛

ولهذا لا يُرْوجُ إلَّا في الأزمانِ والأمكنةِ الخاليةِ مِنَ الْعِلْمِ بآياتِ اللَّهِ وبِئَنَاتِهِ.

فإذا قامَ أهلُ هذا الدِّينِ بالحقِّ وأعلوا رأيتَهُ، نُصِرُوا بِإِذْنِ اللَّهِ.

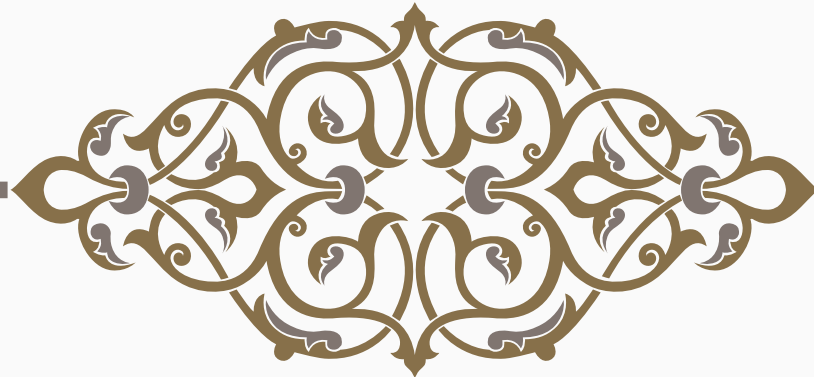
وفي فتحِ مَكَّةَ وغيرِهِ أملُ يحدونا إلى ترقُّبِ وَعِدِ اللَّهِ بِالنَّصْرِ إِنْ نَصَرْنَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، مَهْمَا كَانَ

الوَاقِعُ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ الْيَوْمَ مَوْئِمًا.

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس التاسع عشر في رحاب آيات الصيام

الحمد لله الذي أنزل القرآن في رمضان، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين.

أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ^ط وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ^ط أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ

وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ
فَالَّذِينَ بَشَرُوهُنَّ وَابْتَغَوْا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ
عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٨٣ - ١٨٧﴾.

قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

فأول ما بدأ الله تعالى به: توجيه النداء إلى المؤمنين؛ إشارة إلى أن امثال ما بعده من مقتضيات
الإيمان، وأن على المؤمن أن يعتني به، فهو إما خير يوم مر به، أو شرُّ ينهى عنه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي: فرض الله عليكم الصيام، وأوجه عليكم.

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: كما فرضه وأوجه على أتباع الشرائع السماوية،

وفي هذا تسلية للمؤمنين ليهون عليهم أداء الصيام؛ فإن في الاقتداء بالغير عوناً على تحمل
المصاعب، وإثارة للعزائم، وإذكاء روح التنافس.

ثم بين الله تعالى الغاية السامية من الصيام، وهي تحقيق التقوى، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

أي: من أجل الوصول بصيامكم إلى مرتبة التقوى.

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الصَّيَّامَ مَفْرُوضٌ فِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، وَهِيَ أَيَّامُ رَمَضَانَ، فَقَالَ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، وَالتَّعْبِيرُ بِذَلِكَ يَحْضُلُ بِهِ تَيْسِيرُ أَمْرِ الصَّيَّامِ عَلَى الْمُؤْمِنِ.

ثُمَّ ذَكَرَ صُورًا أُخْرَى مِنْ صُورِ التَّيْسِيرِ، فَقَالَ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أَي: فَعَلِيهِ أَنْ يَقْضِيَ صِيَامَ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا وَذَلِكَ فِي أَيَّامٍ أُخْرَى.

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فِيحِبُّ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ الصَّيَّامَ وَلَمْ يَصُمْ أَنْ يُقَدِّمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ أَفْطَرَهُ طَعَامًا لِمَسْكِينٍ، وَمَنْ أَطْعَمَ أَكْثَرَ مِنْ مَسْكِينٍ فَذَلِكَ أَفْضَلُ. وَالصَّيَّامُ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْطَارِ وَالْإِطْعَامِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا عَرَفَ مَا فِي الصَّوْمِ مِنَ الْخَيْرِ لَهُ فَلَنْ يَتَهَاوَنَ فِي شَأْنِهِ.

وَهَذَا الْحُكْمُ كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ؛ حَيْثُ كَانَ الْمُسْلِمُ مَخِيرًا بَيْنَ الصَّوْمِ وَإِطْعَامِ مَسْكِينٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ أَفْطَرَهُ، فَإِنْ اخْتَارَ الصَّيَّامَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، ثُمَّ نَسَخَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التَّخْيِيرَ فِي حَقِّ الْقَادِرِ عَلَى الصَّيَّامِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، فَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الصَّوْمَ،

وَبَقِيَ الْفِطْرُ وَالْإِطْعَامُ لِلْعَاجِزِ عَنْهُ، كَالرَّجُلِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْعَجُوزِ.

وَفِي ذَلِكَ تَجَلَّى حِكْمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي التَّدْرُجِ بِالتَّشْرِيحِ رِفْقًا بِالْعِبَادِ.

ثُمَّ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى شَهْرَ رَمَضَانَ، وَبَيَّنَّ أَعْظَمَ فَضَائِلِهِ، فَقَالَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾.

﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إِمَّا أَنَّهُ نَزَلَ كَامِلًا مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِمَّا أَنْ ابْتَدَأَ نَزُولَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ الْقُرْآنَ بِقَوْلِهِ: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، فَالْقُرْآنُ يُرْشِدُ إِلَى الْحَقِّ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى آيَاتٍ تُبَيِّنُ الْحَقَّ وَتُثَبِّتُهُ، وَتَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَاطِلِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ صِيَامُ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، أَي: فَمَنْ كَانَ حَاضِرًا غَيْرَ مُسَافِرٍ وَجَبَ عَلَيْهِ صِيَامُ مَا حَضَرَهُ مِنْ أَيَّامِ الشَّهْرِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّوْمُ ذَكَرَ مَنْ يُرَخَّصُ لَهُ فِي الْفِطْرِ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ الصَّيَامَ فِي أَيَّامٍ أُخْرَى.

وَإِنَّمَا رَخَّصَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، وَشَرَعَ الْقَضَاءَ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾، فَاللَّهُ تَعَالَى شَرَعَ لَكُمْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ تُكْمِلُوا عِدَّةَ رَمَضَانَ بِقَضَاءِ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرْتُمُوهَا.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمۡ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وَيُرِيدُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا أَنْ تُكَبِّرُوهُ،
 بقول: اللهُ أَكْبَرُ، بعدَ انقضاءِ رمضان؛ لِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ إِرْشَادِكُمْ إِلَى هَذَا الشَّهْرِ،
 وَتَشْرِيعِ صَوْمِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَتَوْفِيقِكُمْ لِتَحْقِيقِ صِيَامِهِ، وَلِتَكُونُوا بِهَذَا التَّكْبِيرِ وَبِغَيْرِهِ مِنْ
 أَنْوَاعِ الشُّكْرِ مِنَ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.
 أَي: إِذَا سَأَلَكَ الْمُؤْمِنُونَ عَن قُرْبِي - يَا مُحَمَّدٌ - فَأَنَا قَرِيبٌ مِنْهُمْ، وَأَسْتَجِيبُ لِدَعَائِهِ مَنْ دَعَانِي
 مِنْهُمْ، فَأَعْطِيهِمْ مَا طَلَبُوا.

فَتَخَلَّلُ الدُّعَاءِ أَحْكَامَ الصِّيَامِ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الاجْتِهَادِ فِيهِ عِنْدَ إِكْمَالِ الْعِدَّةِ، بَلْ وَعِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ.
 وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (فَقُلْ لَهُمْ: إِنِّي
 قَرِيبٌ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى جَوَابَهُمْ عَن سُؤَالِهِمْ مَبَاشَرَةً دُونَ وَاسِطَةٍ؛ تَنْبِيْهَا عَلَى
 شِدَّةِ قُرْبِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ فِي مَقَامِ الدُّعَاءِ.

﴿فَلَيْسَتْ جِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا لِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أَي: فَلْيَنْقَادُوا لِي، مِمْتَلِينَ أَوْ أَمْرِي، وَمَجْتَبِينَ
 نَوَاهِيَّ، وَلِيُؤْمِنُوا بَأَنِّي أُثِيبُهُمْ عَلَى انْقِيَادِهِمْ لِي، وَأُجِيبُ دَعَائِهِمْ وَتَضَرُّعَهُمْ لِي؛ فَلَعَلَّهُمْ
 بِذَلِكَ يَوْفِقُونَ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ.

ثُمَّ عَادَتِ الْآيَاتُ الْكُرِيهَاتُ لِلْحَدِيثِ عَنْ أَحْكَامِ الصَّيَامِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ أَي: أُبِيحَ لَكُمْ فِي لَيَالِي الصَّيَامِ مَجَامِعُهُ نِسَائِكُمْ ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ فَكُلُّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ بِمِثَابَةِ اللَّبَاسِ لِلآخِرِ، وَكُلُّ مِنْهَا سِتْرٌ لِلآخِرِ، وَفِي ذَلِكَ تَحْصِينٌ لِبَعْضِهَا.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

أَي: عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ، فَلَا تُفُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِالامْتِنَاعِ عَنِ الْجِمَاعِ فِي لَيَالِي الصَّيَامِ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ تَابَ عَلَيْكُمْ فَأَحَلَّهُ لَكُمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْكُمْ مَا سَلَفَ مِنَ التَّخَوُّنِ. فَالآنَ لَكُمْ أَنْ تُجَامِعُوهُنَّ لَيْلًا، وَاطْلُبُوا بِذَلِكَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنَ الْوَلَدِ. أَوْ الْمَعْنَى: ااطْلُبُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَلَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَشْتَغِلُوا بِلَذَّةِ الْجِمَاعِ عَنْهَا، فَتُفَوَّتُوا أَجْرَهَا.

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبَاحَتَهُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ اللَّيْلِ، حَتَّى يَظْهَرَ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ، وَحِينَهَا يَجِبُ الْإِمْسَاكُ عَنْهَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَالَ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾. وَالآيَةُ فِيهَا جَوَازُ أَنْ يُصْبِحَ الصَّائِمُ جُنُبًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ الْجِمَاعَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْفَجْرُ، فَيَلْزَمُ مِنْ

هذا أنه إذا أحرَّ الجِماعَ لم يغتسلْ إلا بعدَ طُلُوعِ الفَجْرِ، وقد ثبتَ عن الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ جِماعِ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَصُومُ.

ونهى اللهُ سُبحانَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الجِماعِ حالَ اعتِكاْفِهِمُ للعبادَةِ في بُيوتِهِ فقال: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾.

وفي الآيةِ إشارةٌ إلى أَنَّ الاعتِكاْفَ يَكُونُ في رَمَضَانَ؛ لِأَنَّ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَ حُكْمَهُ عَقِبَ آيَاتِ الصِّيَامِ.

وَأَنَّ الاعتِكاْفَ مَشْرُوعٌ في كُلِّ مَسْجِدٍ؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾.

ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أَي: فَعَلَيْكُمْ أَنْ تُبْقُوا أَنْفُسَكُمْ بَعِيدَةً عَنِ المَحْرَمَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا.

وَجاءَ قَوْلُهُ سُبحانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ عَقِبَ مَحْرَمَاتٍ، فَناسَبَ أَنْ يُنْهَى عَنِ قِرْبَانِهَا، وَالنَّهْيُ عَنِ قِرْبَانِ شَيْءٍ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ فِعْلِهِ.

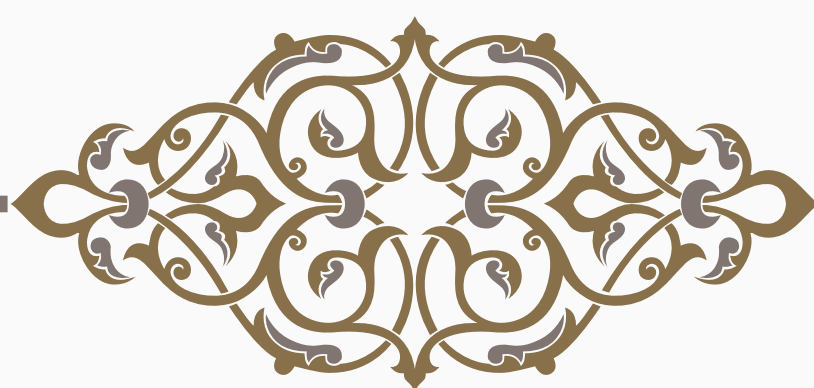
ثُمَّ قَالَ سُبحانَهُ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فَيَبِّينُ اللهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ أَحْكَامَ الصِّيَامِ أَمْ تَبْيِينٍ، وَهَكَذَا يَوْضَحُ لَهُمُ الأحْكَامَ الأُخْرَى؛ لِيَجْتَنِبُوا ما حَرَّمَ.

وَالعِلْمُ سَبَبٌ لِلتَّقْوَى؛ فَكَلَّمَا ازدادَ الإِنسانُ عِلْمًا بِآيَاتِ اللهِ ازدادَ تُقَى.

وقد بدأت آياتُ الصَّيامِ بالتَّقوى؛ ففي آخِرِ الآيَةِ الأُولَى: ﴿... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وفي ختامِ الآيَةِ الأَخِيرَةِ: ﴿... لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ في إشارةٍ إلى أَنَّ شَأْنَ الصَّيامِ يدورُ في فَلَكِ التَّقوى؛ لِيظْفَرَ بها العبدُ بعدَ صيامِهِ وقد راعى فيه حدودَ رَبِّهِ... ويا لها مِنْ كرامةٍ عَظيمةٍ!

نَسألُ اللهَ جَلَّ ثَناءُوه أن يَرْزُقنا فهمًا في كِتابِهِ، ويوفِّقنا لِلعَمَلِ بما فيه،
وأن يَجْعَلَهُ حُجَّةً لنا لا علينا، وأن يُعِيننا على الصَّيامِ والقيامِ.
وآخرُ دَعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.
وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نَبينا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجمَعينَ.

[للمزيد: سُورَةُ البَقَرَةِ - موسوعة التفسير](#)



المجلسُ العِشرون ودخلتِ العَشرُ

الحمدُ لله الذي عمَّنَا بِالخَيْرِ وَالإِحْسَانِ، وَبَلَّغَنَا العِشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ
عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ أَتْبَعَهُ وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ جَرَتْ العَادَةُ أَنَّ مَنْ يَتَسَابِقُونَ، يَنْشَطُونَ وَيَزِيدُ فِيهِمُ الحِمَاسُ حَالَمَا يُبْصِرُونَ خَطَّ النِّهَايَةِ
يَلُوحُ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، فَيَبْذُلُونَ أَقْصَى جُهْدِهِمْ لِلْفَوْزِ، مَهْمَا أَضْنَاهُمْ الإِرْهَاقُ وَأَنْهَكَهُمُ التَّعَبُ.
لَكِنْ مِمَّا يُثِيرُ العَجَبَ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَدَى فِئَامٍ مِنَ النَّاسِ فِي مِضْمَارِ الخَيْرَاتِ
وَالاسْتِيقَاقِ إِلَيْهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ!

فَمِمَّا يُوَسِّفُ لَهُ حَقًّا أَنْ يَنْقَطِعَ العَبْدُ عَنِ الخَيْرِ، أَوْ تَقِلَّ عِبَادَتُهُ، أَوْ يَضْعُفَ حِمَاسُهُ عَنِ مُوَاصَلَةِ
هَذَا الطَّرِيقِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ قَدْ شَارَفَ عَلَى نِهَائِيَّتِهِ!

فَتَرَاهُ يَتَكَاسَلُ عَنِ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، أَوْ يُفَرِّطُ فِي صَلَاةِ الجَمَاعَةِ، أَوْ يَضْعُفُ عَنِ قِرَاءَةِ القُرْآنِ
وَالْحِفَاطِ عَلَى الأَذْكَارِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ
بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]، يَعْنِي: لَا تَكُونُوا كَالْمَرَأَةِ الغَازِلَةِ الَّتِي تَغْزِلُ الصُّوفَ ثُمَّ

إِذَا غَزَلْتَهُ وَأَتَقَنْتَهُ نَقَضْتَهُ وَمَزَّقْتَهُ، فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُحَافِظَ عَلَى مَا
اعْتَادَهُ مِنَ الْخَيْرِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

الْمُسْلِمُ الْحَقُّ هُوَ مَنْ يُعَظِّمُ مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَقَدْ أَقْسَمَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الْعَشْرِ مُعَظِّمًا
لشأنها، فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]، وذلك على أَحَدِ الْأَقْوَالِ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ.
فَلْيُحَدِّثِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ بِأَنَّ رَمَضَانَ أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ، سَرِيعَةٌ الْإِنْقِضَاءِ، بَلْ قَدْ انْقَضَى مُعَظَّمُهَا،
وَبَقِيََتْ مِنْهُ هَذِهِ الْعَشْرُ.

وَلْيُحَدِّثِ نَفْسَهُ بِأَنَّ بَقَاءَهُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ حَتَّى شُهُودِ رَمَضَانَ لِلْعَامِ التَّالِيِ غَيْرُ مَضْمُونٍ.
رُويَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ أَقَامَ الصَّلَاةَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ لِرَجُلٍ: تَقَدَّمَ فَصَلِّ بِنَا، فَقَالَ
الرَّجُلُ: إِنْ صَلَّيْتُ بِكُمْ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَمْ أُصَلِّ بِكُمْ غَيْرَهَا. فَقَالَ لَهُ: وَأَنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ
أَنَّكَ تُصَلِّيُ صَلَاةً أُخْرَى؟ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ طَوْلِ الْأَمَلِ؛ فَإِنَّهُ يَمْنَعُ خَيْرَ الْعَمَلِ!
وَلَا يَدْرِي الْمَرْءُ مَا قَدْ يَعْزِضُ لَهُ فِي مُسْتَقْبَلِ أَيَّامِهِ؛ فَقَدْ يُبْتَلَى بِمَرَضٍ يَمْنَعُهُ الصِّيَامَ، أَوْ يُقْعِدُهُ عَنِ
الْقِيَامِ، أَوْ يَمْنَعُهُ مِنْ شُهُودِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ يُبْتَلَى بِفَقْرٍ شَدِيدٍ لَا يَتِمَكَّنُ مَعَهُ مِنْ تَقْدِيمِ عَوْنٍ لِمَحْتَاجٍ.
رُويَ أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ سَأَلَ يَوْمًا جُلَسَاءَهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الشُّيُوخِ، مَاذَا يُنْتَظَرُ بِالزَّرْعِ
إِذَا بَلَغَ؟ قَالُوا: الْحَصَادُ. قَالَ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، إِنَّ الزَّرْعَ قَدْ تُدْرِكُهُ الْعَاهَةُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ!

لُنَحَدِّثُ أَنْفُسَنَا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - بِأَنَّ قُعودَ هِمَّتِنَا عن مواصلة الدَّربِ قد يكونُ نذِيرًا لنا، يُحْشِي معهُ أَنَّ اللهَ كَرِهَ انبعاثنا وثبُّطنا فترَكنا مع القاعِدين.

فلنُراجِعْ أَنْفُسَنَا، ولنُتَفَقِّدْ قُلُوبَنَا، ونراجِعْ مدي إِخْلاصِنَا للهِ تعالى، ولنُحاسِبْ أَنْفُسَنَا على ما قَدَّمنا.

أَيُّهَا الْأُحِبَّةُ:

لا يَزَالُ بابُ رَمَضَانَ مَفْتُوحًا.

ولا تَزَالُ هناكُ فِرْصَةٌ.

ولا تَزَالُ هناكُ لَيْلَةٌ مَبَارَكَةٌ تُفوقُ خَيْرِئِهَا أَلْفَ شَهْرٍ.

ففي صحيحِ البخاريِّ عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَجاورُ في العَشرِ الأَواخرِ من رَمضانَ، ويقولُ: تَحَرَّوا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشرِ الأَواخرِ (من رَمضانَ)).

ولنتذكَّرْ كيف كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَعِي قِمةَ هذه العَشرِ فيدفعُهُ ذلكَ للانطلاقِ في العبادَةِ باجتهادٍ كَبيرٍ تَهْجُدًا واعتكافًا، متفرِّغًا للعبادَةِ، مُعْتزِلًا لِلخَلْقِ، حابِسًا نَفْسَهُ بِقَلْبِهِ وجوارِحِهِ على التَّقَرُّبِ إلى اللهِ تعالى، يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّهُ عَبْدٌ، وَأَنَّ العبودِيَّةَ أَشْرَفُ مَرَاتِبِهِ، وَأَنَّه لا وَسيلةَ لمخلوقٍ للوُصولِ إلى اللهِ والقُرْبِ مِنْهُ والفوزِ العَظيمِ بِجَنَّتِهِ إِلَّا بالعبادَةِ.

في صحيح مُسْلِمٍ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: ((كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجتهدُ في العَشرِ الأَواخرِ ما لا يجتهدُ في غيرِه)).

وفي الصَّحيحينِ عنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: ((كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دَخَلَ العَشرُ شَدَّ مِئزَرَه، وأَحيا لَيْلَه، وأيقظَ أهله)).

المِئزَرُ هو ما يُلبَسُ مِنَ الثَّيابِ أسفلَ البَدَنِ، وعِبارَةُ ((شَدَّ مِئزَرَه)) فيها إشارةٌ إلى اعتزالِ النِّساءِ في الفِراشِ وَعَدَمِ جُماعتِهِنَّ، أو يَحتمِلُ أن المرادُ بها الجُدُّ في العِبادَةِ؛ فَإِنَّه يُقالُ: شَدَدْتُ في هذا الأمرِ مِئزَرِي، بِمَعنى: تَشَمَّرْتُ له وتَفَرَّغْتُ، وقولها: ((وأَحيا لَيْلَه)) أي: بالسَّهرِ للعِبادَةِ، ((وأيقظَ أهله)) لِيُصَلُّوا مِنَ اللَّيْلِ، وهذا مِن تَشجيعِ الرَّجُلِ أهله على أداءِ النَّوافِلِ والعِباداتِ، وتَحصيلِ خَيرِ هذه الأَيَّامِ.

وفي الحديثِ: أنَّ اغتِنامَ أوقاتِ الفضلِ يَحْتَاجُ إلى عِزمٍ وصَبْرٍ ومُجاهدَةٍ للنَّفْسِ. فلنَقْتَدِ بِرِسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولنَجتهدُ في هذه الأَيَّامِ، واللهُ تَعَالَى يَقولُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولنَحْرِضْ على مصاحبةٍ مَن يرفعونَ الهِمَّةَ، ويُحيونَ العِزمَ، ويُجدِّدونَ النِّشاطَ، ويُعينونَ على الطَّاعةِ. واللهُ تَعَالَى يَقولُ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَهُ وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن
ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿الكهف: ٢٨﴾.

﴿فُرُطًا﴾ قيل: أي: ضائعًا، فتمضي الأيام والليالي دون أن ينتفع بشيءٍ.

فلنر الله من أنفسنا خيرًا.

ولنر الله أننا جادون حقًا في طلبِ رضاه، والحظوة بمغفرته.

ولندعُ الله تعالى أن ييسر لنا هذا الأمر، وأن يذهب عنا رجز الشيطان، ويربط على قلوبنا،

فلا نضطرب ولا نضعف ولا نتوانى مُطلقًا.

ولنبادر إلى انتهاء هذه العشرِ الأخيرة؛ فلعلنا نكون ممن أكمل العِدَّةَ وأحسن الختامَ وحظي

بشرف الهداية، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فإن الأعمال بخواتيمها، والعبرة بكمال النهايات، لا نقص البدايات.

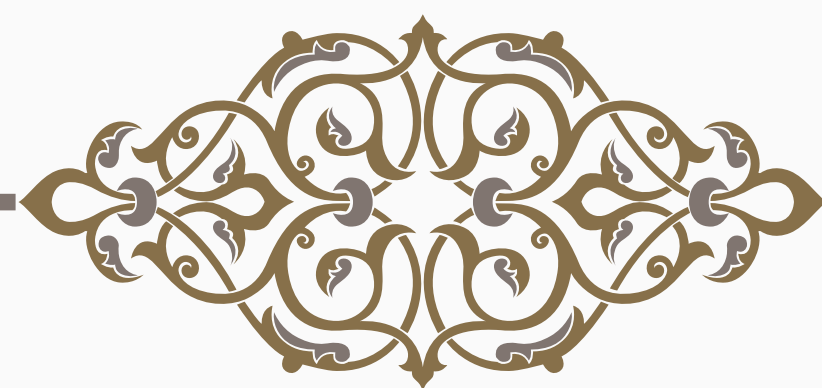
رُوي أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه اجتهد قبل موته اجتهادًا شديدًا، ف قيل له: لو

أمسكت ورَفقت بنفسك؟ قال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع

ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك.

وهكذا كان حال الصالحين السابقين من هذه الأمة في الحرص على إحسان ختام رمضان في هذه العشر بالاجتهاد الشديد في العبادة والتنافس فيها، ومن ذلك ما روي عنهم في الإكثار من ختم القرآن عدة مرات خلال هذه العشر المباركة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من السابقين للخيرات، الحريصين على اغتنام خير الأوقات، وأن يقوي عزائمنا، ويتقبل منا صيامنا وقيامنا.
وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



المجلس الحادي والعشرون

ادعوني أستجب لكم

الحمد لله الذي أمرنا أن نسأله من فضله، ووعد بالإجابة، والصلاة والسلام على من أخبرنا أن الدعاء هو العبادة، وعلى آله وصحبه الكرام السادة.
أما بعد:

فإنه إذا عصفت بك رياح الفتن وتقلبات الحياة، وضافت بك السُّبُل، فتذكر يا عبد الله قول الله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وإذا شعرت بالقلق والاضطراب يجتاحك، ومشاعر الإحباط والاكئاب تستولي عليك، فردد أيها المسلم قول الله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وإذا شعرت بالتيه والحيرة، وكأنك في صحراء شاسعة لا تعرف منها مخرجاً، فارفع يديك موقناً بأن الله قريب.

فالله تعالى مجيب دعاء الداعي إذا التجأ إليه، واستغاث به، وتضرع إليه، ولاذ بجناحه، وقرع بابه، فيقبل الله دعاءه ولو كان كافراً يصرخ وقت الشدة مستغيثاً بلا تصنع أو ادعاء.

فحين تتقلب به سفينته التي يركبها في عرض البحر، وتعصف به الأمواج، ويخشى على

نَفْسِهِ الْهَلَاكَ، فَيَشْعُرُ بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ، وَيَكَادُ يَحْتَنِقُ مِنَ الرَّعْبِ - يَتَوَجَّهُ نَحْوَ السَّمَاءِ بِقَلْبٍ لَا يَرَى مُنْقِذًا سِوَى اللَّهِ، وَيَنْسَى جَمِيعَ مَعْبُودَاتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

إِنَّ مِنْ أَبْرَزِ مَظَاهِرِ الْعِبُودِيَّةِ - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - الدُّعَاءُ، بَلِ ((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ))، كَمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَالْفَاتِحَةُ أُمَّ الْكِتَابِ نِصْفُهَا دُعَاءٌ، وَأُنزِلَتْ أَوْ آخِرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، - كَمَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَمُعْظَمُهَا دُعَاءٌ.

وَكَانَ الدُّعَاءُ دِيدَنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ الْخَلْقِ ذُلًّا وَافْتِقَارًا وَتَوَاضَعًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

أَي: كَانُوا يَدْعُونَنَا رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي ثَوَابِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَرَهْبَةً مِنْ عَذَابِهِ وَغَضَبِهِ، وَكَانُوا لَنَا

مُتَوَاضِعِينَ خَاضِعِينَ، مُتَذَلِّلِينَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن دُعَائِنَا، قَدْ انكَسَرَتْ قُلُوبُهُمْ لِلَّهِ، وَسَكَنْتَ
عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

أَي: إِنَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ وَيَتَعَاطَمُونَ عَن دُعَائِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ وَهُمْ أَذِلَّةٌ صَاغِرُونَ.
وَتَأَمَّلْ - أَخِي الْحَبِيبَ - قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]،
الَّذِي وَرَدَ فِي سِيَاقِ آيَاتِ الصَّوْمِ.

وَفِي هَذَا إِيمَاءٌ وَإِشْعَارٌ لِلصَّائِمِ بِالاجْتِهَادِ بالدُّعَاءِ فِي هَذَا الشَّهْرِ.
وَفِيهَا وَعْدٌ صَرِيحٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِإِجَابَةِ دَعَاءِ الدَّاعِينَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُخْلِفُ
الْمِيعَادَ. فَاْمَلْ - أَخِي الْكَرِيمَ - لِحِظَاتِ رَمَضَانَ بالدُّعَاءِ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ مَنْكَسِرٍ، وَعَيْنٍ تَفِيضُ
مِنَ الدَّمْعِ، وَاجْعَلْ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِنْهُ تَعَكُّسُ حَبِّكَ لِلَّهِ، وَافْتِقَارُكَ إِلَيْهِ، وَالْفَرَحُ بِدَعَائِهِ،
وَالتَّوَسُّلُ إِلَيْهِ بِالْحَاحِ، وَمُنَاشَدَتُهُ بِيقِينٍ، وَالتَّلَذُّذُ بِمُنَاجَاتِهِ بِرَغْبَةٍ. وَحَالُ الْمُسْلِمِ بَعْدَ إِجَابَةِ
الدُّعَاءِ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هِيَ نَفْسَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَدْ عَابَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا وَقَعُوا فِي هَذَا، فَقَالَ:
﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ

كَأَنَّ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿يونس: ١٢﴾.

فما أبشعها من صورة قائمة! وما أقبحها من حال مظلمة في التعامل مع الله!

فإذا أصاب الإنسان الشدة والكرب اجتهد في دعاء الله في جميع أحواله؛ مضطجعا على جنبه، أو قاعدا، أو قائما، فلما فرج الله سبحانه عن هذا الإنسان المضطرب، واستجاب دعاءه، استمر على ما كان عليه من الكفر أو المعاصي، ونسي أو تناسى ما كان فيه من الشدة، ولم يتعظ بذلك، ولم يشكر ربه، وكأنه لم يدع الله أصلا إلى رفع ما أصابه!

أيها الإخوة:

إنَّ لِلدُّعَاءِ آدَابًا يَنْبَغِي التِّزَامُهَا وَالْعِنَايَةُ بِهَا حَتَّى يَسْتَجِيبَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَنَا، وَمِنْهَا:

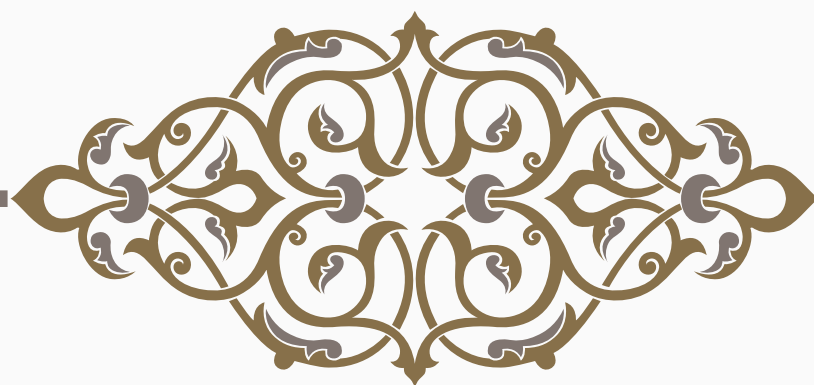
الإخلاص، والطهارة، واستقبال القبلة، ورفع اليدين، والبدء بتحميد الله وتمجيده والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدعاء بالأسماء الحسنى، والإلحاح في الدعاء وتكريره ثلاثا، وخفض الصوت، والدعاء بالأفضل والأعلى والأولى، والدعاء بجوامع الكلم، وترك السجع المتكلف، وإذا دعا لنفسه ولغيره بدأ بنفسه، والعزم بالدعاء، وإعظام الرغبة، والرجاء وحسن الظن، وترك التعدي في الدعاء، وعدم الاستعجال، وعدم الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، وعدم الدعاء على نفسه بالموت، وعدم الدعاء على النفس والمال والأهل والولد، وعدم الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، وتحري أوقات الإجابة، والحذر

مِن مَوَانِعِ الْإِجَابَةِ كَأَكْلِ الْحَرَامِ وَالظُّلْمِ.

فَامدُدْ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - كَفَّيْنِ مَبْسُوطَتَيْنِ تَسْأَلُ اللَّهُ بِهِمَا أَنْ يُعْطِيكَ، وَاغْسِلْ قَلْبَكَ بِدُمُوعِ تَنْهَمِرُ
عَلَى وَجْتَيْكَ تَسْأَلُ اللَّهُ بِهَا أَنْ يَغْفِرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ يَرْفَعَ عَنْكَ ضُرَّكَ، وَأَنْتَ تَلْهَجُ بِالشَّيْءِ
عَلَى اللَّهِ مُوقِنًا بِالْإِجَابَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

رَبَّنَا أَعِنَّا وَلَا تُعِنْ عَلَيْنَا، وَانصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا، وَاهْدِنَا وَيَسِّرِ الْهُدَى لَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى
مَنْ بَغَى عَلَيْنَا، رَبَّنَا اجْعَلْنَا لَكَ شَكَارِينَ، لَكَ ذَكَارِينَ، لَكَ رَهَّابِينَ، لَكَ مَطْوَاعِينَ، لَكَ
مُحِبِّينَ، إِلَيْكَ أَوْاهِينَ مُنِيبِينَ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ تَوْبَتَنَا، وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا، وَأَجِبْ دَعْوَتَنَا، وَثَبِّتْ
حُجَّتَنَا، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صُدُورِنَا.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

للمزيد: آدابُ الدُّعَاءِ - موسوعة الآداب الشرعية



المجلس الثاني والعشرون

في رحابِ سُورَةِ الْقَدْرِ

الحمدُ لله الذي أنزلَ القرآنَ العظيمَ في ليلةِ القدرِ، وجعلها خيرًا من ألفِ شهرٍ، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهدیه إلى يومِ الدينِ.

أما بعدُ:

فإنَّ سورةَ القدرِ -أيها الإخوة الأكارم- سورةٌ ذُكِرَتْ فيها فضائلُ ليلةِ القدرِ، والتَّنويهُ بشأنِ القرآنِ الذي أنزلَ فيها، فلنتعرَّفْ على بعضِ معانيها.

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

أي: أنزل اللهُ تعالى القرآنَ في ليلةِ القدرِ من شهرِ رَمَضَانَ، كما قال اللهُ سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]: أي: إنَّا أنزلنا القرآنَ في ليلةٍ كثيرةِ البركاتِ والخيراتِ.

وفي صحيح البخاريِّ عن عائشةَ رضي اللهُ عنها، قالت: ((كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم يجاورُ في العشرِ الأواخرِ من رَمَضَانَ، ويقولُ: تحرَّوا ليلةَ القدرِ في العشرِ الأواخرِ

(من رَمَضَانَ)). ﴿﴾

فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ، وَهِيَ فِي الْاُوتَارِ مِنْهَا.

فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: رَأَى رَجُلٌ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَرَى رُؤْيَاكُمْ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ، فَاطْلُبُوهَا فِي الْوَتْرِ مِنْهَا)).

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ- أَنْ يَجْتَهِدَ فِي لَيَالِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا؛ حَتَّى لَا يُحْرَمَ مِنْ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَأَجْرِهَا.

وَقَدْ سُمِّيَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ بِهَذَا الْأَسْمِ؛ إِمَّا لِعَظِيمِ قَدْرِهَا وَشَرَفِهَا، أَوْ لِأَنَّ لِلطَّاعَاتِ فِيهَا قَدْرًا، أَوْ لِتَدْوِينِ الْمَلَائِكَةِ فِيهَا مَا سَيَقَعُ مِنَ الْأَقْدَارِ حَتَّى الْعَامِ التَّالِي.

وَيَتَبَيَّنُ مِمَّا سَبَقَ مِنْ نَزْوِلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّرِيفَةِ تَعْظِيمُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ لِعَظَمَةِ مَا أُنْزِلَ فِيهَا.

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُؤَكِّدًا لِذَلِكَ التَّعْظِيمِ، وَحَثًّا عَلَى الْجِتْهَادِ فِي إِحْيَائِهَا: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢].

أَيُّ: وَمَا الَّذِي أَعْلَمَكَ -يَا مُحَمَّدٌ- أَيُّ شَيْءٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟! وَفِي هَذَا الْأُسْلُوبِ تَفْخِيمٌ لِشَأْنِهَا وَتَعْظِيمٌ لَهَا.

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

أَيُّ: إِنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ -فِي خَيْرِهَا وَبَرَكَتِهَا وَثَوَابِ الْأَعْمَالِ فِيهَا- أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ

فيها ليلةُ القَدْرِ.

روى البخاريُّ ومُسلمٌ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: ((مَنْ قام ليلةَ القَدْرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)). ﴿٤﴾

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَنْ أَحْيَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ الْمُبَارَكَةَ بِالصَّلَاةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ السَّابِقَةَ - غَيْرَ الْحَقُوقِ الْأَدْمِيَّةِ - بِشَرَطِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، أَي: تَصَدِيقًا بِفَضْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَفَضْلِ الْعَمَلِ فِيهَا، وَابْتِغَاءً لَوَجْهِ اللهِ، وَطَلَبًا لِلثَّوَابِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ.

وقد وقع الجزاءُ بصيغةِ الماضي ((غُفِرَ)) مع أنَّ المغفرةَ تكونُ في المستقبلِ؛ للإشعارِ بأنه أمرٌ متيقنٌ الوقوعِ، مُتَحَقِّقُ الثُّبُوتِ، فضلًا مِنْ اللهِ تَعَالَى على عِبَادِهِ.

ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].
أَي: تَهْبِطُ الْمَلَائِكَةُ وَجِبْرِيلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَجَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ.

قال اللهُ تَعَالَى عن ليلةِ القَدْرِ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] أَي: يُقْضَى وَيُبَيَّنُ وَيُكْتَبُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ مُحْكَمٍ مُشْتَمِلٍ عَلَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَتَّصِفَةٌ بِالسَّلَامَةِ التَّامَّةِ؛ فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى عَظَمَتِهَا،

فقال: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ سَالِمَةٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَأَذَى وَسُوءٍ. وَعَرَّفَ بِمُنْتَهَاهَا فَقَالَ: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾،

أَي: إِلَى زَمَنِ طُلُوعِ الْفَجْرِ؛ لِيَحْرِصَ النَّاسُ عَلَى كَثْرَةِ الْعَمَلِ فِيهَا قَبْلَ انْتِهَائِهَا.

فِيُشْرَعُ الدُّعَاءُ فِيهَا وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مِنْ بَعْدِ غُرُوبِ

الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

وَمِنْ عِلَامَاتِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ فِي صَبِيحَتِهَا صَافِيَةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهَا تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ لَا شُعَاعَ لَهَا)).

وَفِي لَفْظٍ آخَرَ لِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((أَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي

صَبِيحَةٍ يَوْمِهَا بِيضَاءً لَا شُعَاعَ لَهَا)).

أَي: تَكُونُ نَقِيَّةً لَا يُرَى لَهَا أَشْعَةٌ مُتَدَدَةٌ، فَيَنْتَشِرُ ضَوْوُهَا بِلا شُعَاعٍ كَمَا يُضِيءُ الْقَمَرُ بِلا شُعَاعٍ.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ:

هَذِهِ اللَّيْلَةُ الشَّرِيفَةُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا لَيْلَةٌ... قَدْ مَيَّزَهَا اللَّهُ تَعَالَى - كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ - عَنْ سَائِرِ لَيَالِي

الْعَامِ، فَأَنْزَلَ فِيهَا الْقُرْآنَ، وَجَعَلَهَا مُبَارَكَةً، وَجَعَلَهَا خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَجَعَلَ مَنْ قَامَهَا

إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا مَغْفُورًا لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَجَعَلَهَا زَمَنًا شَرِيفًا لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ وَجِبْرِيلَ

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَفِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ سَالِمَةٌ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ وَالشُّرُورِ حَتَّى نِهَائِهَا مَعَ طُلُوعِ الْفَجْرِ.

وَكَوْنُهَا مَخْفِيَّةٌ غَيْرَ مُحَدَّدَةٍ يَعْنِي الْجِتْهَادَ فِي لَيَالِي الْعَشْرِ كُلِّهَا، وَالتَّمَسَّسَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِيهَا، وَخُصُوصًا فِي أَوْتَارِهَا.

فَيَنْبَغِي أَنْ نَقْدِرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ قَدْرَهَا، وَنُوفِّيَهَا حَقَّهَا، وَنَتَعَرَّضَ لِنَفْحَاتِهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ

الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ

قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَسْأَلُكَ مِمَّا سَأَلْتَ

بِهِ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِمَّا تَعَوَّذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، وَمَا قَضَيْتَ لَنَا مِنْ قَضَاءٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رُشْدًا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

[للمزيد: سُورَةُ الْقَدْرِ - موسوعة التفسير](#)

[للمزيد: أَصْحُ مَا وَرَدَ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ](#)

المجلس الثالث والعشرون

لعلكم تتفكرون

الحمد لله علام الغيوب، والصلاة والسلام على من كان إذا وعظ ذرقت العيون، ووجلّت القلوب، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا خير صحب لأشرف مصحوب.

أما بعد:

فإن في آيات الله الكونية عظة وعبرة، فالهلال يرى صغيراً ثم يكبر تدريجياً، حتى يكتمل بدرًا منيرًا، ثم يتناقص شيئاً فشيئاً، حتى يرى صغيراً كما بدأ، ثم يختفي في نهاية الشهر.

وهكذا حال الإنسان؛ ينشأ جنيئاً، وينمو مع مرور الوقت حتى يبلغ أواسط العمر، فتشتد قوته وتبلغ كماها، ثم يبدأ رحلة العودة، فتضعف قوته وتهن عظامه حتى يبلغ أردل العمر فلا يعلم من بعد علم شيئاً، أو يخطفه الموت قبل ذلك فيغدو أثراً بعد عين.

وهكذا تدور الحياة... كالنبات يكون بذرة في الأرض مخفية، ثم تنمو بمرور الزمان حتى تغدو شجرة مثمرة مخضرة، ثم لا تلبث أوراقها أن تذبل وتصفّر، ثم تصبح فتاتاً تشتتها الرياح.

كما قال الله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا إِذَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ

بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴿[الكهف: ٤٥].

وقال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ وَيَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿[الزمر: ٢١].

وإذا كان الأمر كذلك فإن العاقل يستيقظ من غفلته، ويتذكر سائلاً نفسه: فيم التَّشْبِثُ بها وهي فانية؟! وعلام الرُّكُضُ وراء حُطَامِهَا وهي سَرَابٌ زَائِلٌ؟!!

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنْتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[يونس: ٢٤].

أي: لقوم يتفكرون فيعتبرون، فلا يغترون بالدنيا الفانية.

ثم قال الله تعالى عقب ذلك: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿[يونس: ٢٥].

فالله يدعو عباده إلى دخول جنَّته السَّالِمَةِ من جميع المساوي، فاطلبوها بطاعته - أيها المسلمون - ولا تطلبوا الدنيا وزينتها؛ فإنها مليئة بالنكبات، ومصيرها إلى زوال.

واستمع يا عبد الله إلى قول الله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

ما الحياة الدنيا بما فيها من لذات وشهوات إلا متاع يتمتع به الناس زمناً قليلاً، وهي مجرد متعة فانية تخذع صاحبها؛ فلا ينبغي لعاقل أن يركن إليها.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: ٦٠].

وفي صحيح مسلم عن المستورد بن شداد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبغه هذه في اليم، فلينظر بهم ترجع؟)).

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: ((أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))، وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك).

كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ قَدِمَ بَلَدًا لَا مَسْكَنَ لَهُ فِيهِ يُؤْوِيهِ، وَلَا سَاكِنَ يُسَلِّيهِ، خَالٍ عَنِ
الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ وَمَا يُشْغَلُهُ عَنِ الْخَالِقِ.

أَوْ كُنْ كَالَّذِي خَرَجَ مُسَافِرًا يَمُرُّ بِالْبِلَادِ غَيْرَ مُتَوَقِّفٍ فِيهَا إِلَّا لِيَتَزَوَّدَ مِنْهَا؛ فَعَابِرُ السَّبِيلِ
أَشَدُّ زُهْدًا فِي مُغْرِيَاتِ طَرِيقِهِ مِنَ الْغَرِيبِ؛ لِأَنَّ الْغَرِيبَ قَدْ يَسْكُنُ فِي بِلَادِ الْغُرْبَةِ وَيُقِيمُ
فِيهَا، بِخِلَافِ عَابِرِ السَّبِيلِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَلَدِهِ مَسَافَاتٌ شَاسِعَةٌ، وَهُوَ فِي حَالَةٍ تَخَفُّفٍ دَائِمَةٍ
مِنْ كُلِّ مَا يَعُوقُهُ أَوْ يُؤَخِّرُهُ عَنِ بُلُوغِ مَقْصَدِهِ. وَقِيلَ: إِنَّ «أَوْ» بِمَعْنَى «بَلْ»، أَي: بَلْ كُنْ
كَأَنَّكَ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَهُوَ ارْتِفَاعٌ بِهِ إِلَى مَنْزِلَةٍ أَعْلَى فِي الزُّهْدِ مِنْ مَنْزِلَةِ الْغَرِيبِ.

وَالْمُرَادُ: أَنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي قَلْبِهِ دَائِمًا حَالَةَ الْغَرِيبِ أَوْ الْمُسَافِرِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ
شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَمُتَطَلِّبَاتِهَا؛ لِيَصِلَ بِذَلِكَ إِلَى آخِرَتِهِ.

وَقَدْ تَعَلَّمَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَذَا الدَّرْسَ وَوَعَاهُ جَيِّدًا، فَكَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ:
(إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ،
وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)؛ فَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ بَأَلَّا تُؤَخَّرَ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ إِلَى
الصَّبَاحِ؛ فَرَبِّمَا تَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُؤَخَّرَ عَمَلَ الْخَيْرِ إِلَى
الْمَسَاءِ؛ فَقَدْ يُعَاجِلُكَ الْمَوْتُ، وَاعْتَنِمِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِي الصُّحَّةِ قَبْلَ أَنْ يُحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا
الْمَرَضُ، وَاعْتَنِمِ حَيَاتَكَ فِي الدُّنْيَا، فَاجْمَعْ فِيهَا مَا يَنْفَعُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ.

وَتَبَّتْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِأَصْحَابِهِ: ((اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا)).

فقوله: ((وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا)) أي: لَا تُصِيبْنَا بِنَقْصٍ فِي دِينِنَا مِنْ اعْتِقَادِ سُوءٍ، أَوْ أَكْلِ حَرَامٍ، أَوْ فِتْرَةٍ وَكَسَلٍ فِي الْعِبَادَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي الْمُهْلِكَاتِ، وَالْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ هِيَ الْمُصِيبَةُ الْحَقِيقِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا بَقِيَ دِينُ الْمَرْءِ فَمَا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ، وَإِذَا ضَاعَ دِينُهُ لَمْ يَفُزْ بِشَيْءٍ. وقوله: ((وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا))، أي: لَا تَجْعَلْ أَعْظَمَ مَا نَقْصِدُهُ وَنَهْتُمُّ بِهِ وَنَحْزَنُ مِنْ أَجْلِهِ هُوَ أُمُورَ الدُّنْيَا، فَتَشْغَلْ بِهَا، وَتُلهِينَا عَنِ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ.

وقوله: ((وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا))، أي: لَا يَكُونُ عِلْمُنَا كُلُّهُ هُوَ التَّفَكُّرُ فِي شُؤُونِ الدُّنْيَا؛ وَنَنْسَى الْآخِرَةَ.

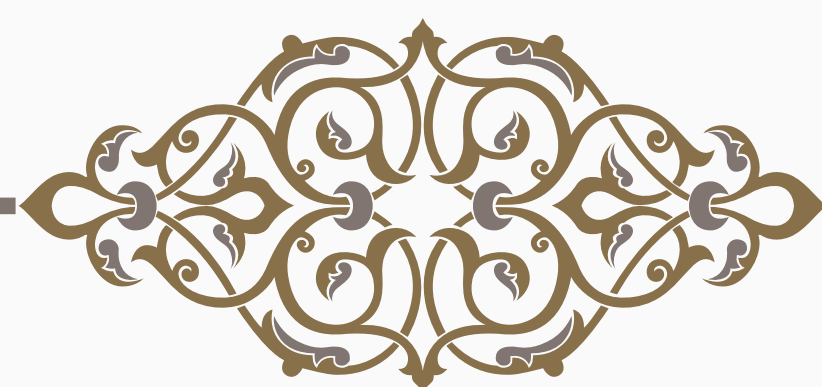
وَتَذَكَّرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنَّ أَيَّامَ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا مِثْلُ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ، كُلَّمَا سَقَطَتْ وَرَقَةٌ ذَهَبَ يَوْمٌ، وَهَذَا الْيَوْمُ لَا يَعُودُ أَبَدًا، حَتَّى يَقْتَرِبَ الْأَجَلُ، وَتَسْقُطُ بَقِيَّةُ أَوْرَاقِ الْعُمُرِ، ثُمَّ تَنْتَهِي

الحياة... مثل هلالِ رَمَضانَ، حَالِمًا يَنْقِضِي الشَّهْرُ!

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَّهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلسُ الرَّابِعُ والعِشرون

رمضانُ والتَّوبَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ التَّوَّابِ الرَّحِيمِ، يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَبِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلَا يَخْلُو إِنْسَانٌ مِنْ مَعْصِيَةٍ، لَكِنَّ حَالَ الْمُؤْمِنِ مَعَ ذُنُوبِهِ لَيْسَ كَحَالِ الْفَاجِرِ.

فَحَالَ الْمُؤْمِنِ مَعَ ذُنُوبِهِ كَرَجُلٍ قَاعِدٍ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، فَالْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ إِلَى عَظَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَلَالِهِ، وَعِزِّ سُلْطَانِهِ، وَغِنَاهُ عَنْ خَلْقِهِ، وَفَقْرِ خَلْقِهِ إِلَيْهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ يَسِيرَ الْمَعْصِيَةِ عِنْدَهُ جَلٌّ جَلَالُهُ لَيْسَ بِسِيرٍ. بَيْنَمَا يَنْظُرُ الْفَاجِرُ - وَهُوَ الْفَاسِقُ الْمُسْتَهْتِرُ - لَذُنُوبِهِ بِاسْتِخْفَافٍ، حَتَّى إِنَّهُ يَرَى كِبَائِرَ الذُّنُوبِ سَهْلَةً يَسِيرَةً، كَأَنَّهَا ذُبَابٌ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَذَهَبَ الذُّبَابُ وَلَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ، لَا لِحِفَّةِ ذُنُوبِهِ، وَلَكِنْ لِحِفَّةِ إِيْمَانِهِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ.

لِذَا، فَالْمُؤْمِنُ يُسَارِعُ إِلَى التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْاصِي؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى بِهَا، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التَّحْرِيمُ: ٨].

﴿تَوْبَةٌ نَّصُوحًا﴾ أي: توبة صادقة بنية خالصة، مع إقلاع عن الذنوب، وندم عليها، وعزم على عدم العودة إليها، ومتحللاً من ظلم العباد برد حقوقهم، وطلب عفوهم.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دويّة [أي: صحراء خالية لا نبات فيها] مهلكة، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهب، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده)).

فتصور -أخي المسلم- مشهد رجل نزل في أثناء سفره أرضاً خالية لا نبات فيها، وكانت معه دابة يركب عليها وفيها طعامه وشرابه، وبعد تعب من السير أخذ للراحة، فنام نومة لا يشعر معها بما حوله، ثم استيقظ وقد ذهب دابته وتاهت في تلك الصحراء، فظل يبحث عنها حتى اشتد عليه الحر والعطش، وبعد محاولات مُضنية من البحث دون جدوى حدث نفسه بأن يرجع إلى مكانه الذي نام فيه لينتظر الموت، فرجع فنام ثم استيقظ فوجد دابته أمامه قد عادت إليه، فلا شك أن من هذه حاله يفرح فرحاً شديداً، حتى إنه اضطرب فأخطأ من شدة الفرح، فقال: ((اللهم أنت عبيدي وأنا ربك)). كما جاء في رواية أخرى.

فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ .

وَاللَّهُ يُحِثُّ عِبَادَهُ عَلَى التَّوْبَةِ مَهْمَا عَظُمَتِ الذُّنُوبُ وَكَثُرَتِ الْخَطَايَا .

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

فَجَاءَ النَّهْيُ الْإِلَهِيُّ لِجَمِيعِ الْعِبَادِ الَّذِينَ أَثَقَلُوا أَنفُسَهُمْ بِالْآثَامِ، عَنِ الْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ مُعْتَقِدِينَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّائِقَ بِهِ أَنْ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ لَا يُجِيبُهُ وَلَا يَرُدُّهُ .

وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ ﴾ فِيهِ إِقْبَالُهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ، وَإِضَافَتُهُمْ إِلَيْهِ، وَفِيهِ مِنَ التَّوَدُّدِ إِلَيْهِمْ وَالتَّلَطُّفِ بِهِمْ مَا يُحِثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالتَّوْبَةِ .

وَتَأَمَّلْ - أَخِي الْحَبِيبَ - مَا جَاءَ عَنِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حَيْثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)). ﴿

فَهَذَا الْحَدِيثُ الْعَظِيمُ يُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ وَإِنْ تَأَخَّرَتْ بَعْدَ ارْتِكَابِ الذَّنْبِ، فَإِنْ أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْبًا بِالنَّهَارِ وَتَابَ بِاللَّيْلِ، قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، وَإِنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا بِاللَّيْلِ وَتَابَ بِالنَّهَارِ، قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، وَبَسَطَ يَدَهُ سُبْحَانَهُ يَتَلَقَّى بِهِمَا تَوْبَةَ التَّائِبِ فَرَحًا بِهَا، وَقَبُولًا لَهَا. وَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بِالْعِبَادِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا .

ثَبَّتَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَابًا عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ لَا يُغْلَقُ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] (الآية)).

كَمَا لَا تُقْبَلُ تَوْبَةٌ مِنْ حَضْرَةِ الْمَوْتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ﴾ [النساء: ١٨] فَالآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ حَضَرَ الْمَوْتَ وَشَاهَدَ أَهْوَالَهُ فَإِنَّ تَوْبَتَهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ:

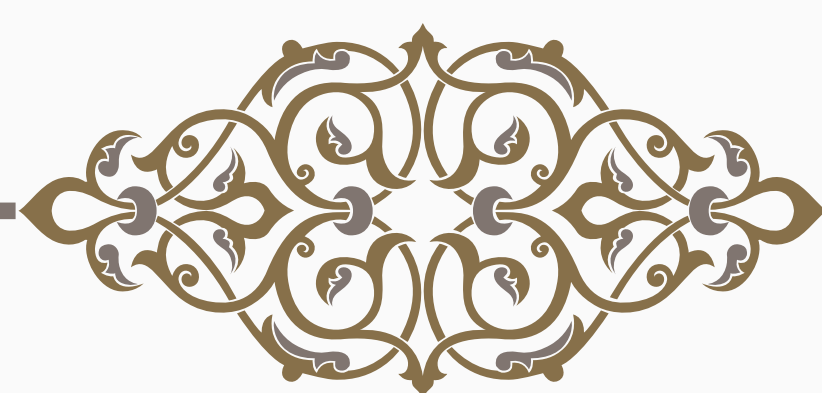
إِنَّ رَمَضَانَ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ لِأَنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ بِسَبَبِ الصَّيَامِ وَبِسَبَبِ التَّأَثُّرِ بِمَوَاعِظِ الْقُرْآنِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ؛ مِمَّا يُذَكِّرُ بِلِقَاءِ اللَّهِ، وَيَطْرُدُ الْغَفْلَةَ عَنِ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ فِيهَا، وَهَذَا يَحْمِلُ عَلَى شِدَّةِ الرَّغْبَةِ فِي التَّخَلُّصِ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَثَارِهَا، وَالْمَعَاصِيِ وَشُؤْمِهَا فَيَجْتَهِدُ فِي طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ وَأَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ، وَلَنْ يَنْفَعَ النَّدْمُ حِينَئِذٍ.

فِيَا أَيُّهَا الْأَخُ الْحَبِيبُ تُبِّ وَاصْدُقْ فِي تَوْبَتِكَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلًا عَلَى تَنْقِيَةِ قَلْبِكَ، وَتَطْهِيرِ نَفْسِكَ.

واحفظُ تَوْبَتَكَ مِمَّا يُفْسِدُهَا، وَزَكَ نَفْسَكَ بِمَا يُصْلِحُهَا.

واجعلِ التَّوْبَةَ مُحْفَزةً لَكَ مِنْ أَجْلِ تَغْيِيرِ حَيَاتِكَ وَتَصْحِيحِ مَسَارِكَ.. مُسَارِعًا فِي الْحَسَنَاتِ،
وَمُسْتَدِرِّغًا مَا فَاتَ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.
وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس الخامس والعشرون

تعظيم قدر الصلاة

الحمد لله الذي جعل الصلاة رُكنَ الإسلامِ الرِّكينَ، وقُرَّةَ عُيُونِ الْمُؤْمِنِينَ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الصَّلَاةَ لَهَا مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَرْكَانِهِ، وَأَهَمِّ شَعَائِرِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وَإِنَّ اسْتِحْضَارَ عِظَمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ وَمَا لَهَا مِنْ فُضَائِلَ، يَحْمِلُ الْمُسْلِمُ عَلَى تَعْظِيمِهَا وَشِدَّةِ الرَّغْبَةِ فِيهَا.

فَمِنْ فَضْلِهَا وَعَظِيمِ شَأْنِهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرُضُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي السَّمَاءِ.

وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ صَعْبَةَ وَأَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ففُرِضَتْ عَلَيْهِ خَمْسُونَ، ثُمَّ صَارَتْ خَمْسًا؛ رَحْمَةً وَفَضْلًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

وَالصَّلَاةُ مُنَاجَاةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ

إذا كان في الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ)). ﴿٤٠﴾

فَلَيْسَتْشِعْرِ الْمُصَلِّيِّ فِي صَلَاتِهِ قُرْبَ اللَّهِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ بِمَرَأَى مِنْهُ وَمَسْمَعٍ، وَأَنَّهُ مُنَاجٍ لَهُ، وَأَنَّهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَيَرَى مَكَانَهُ، وَيُجِيبُ دُعَاءَهُ، وَيُقْبَلُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

ثَبَّتَ عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ))، ﴿٤١﴾ وَذَكَرَ مِنْهَا: ((وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُقْبَلُ بِوَجْهِهِ إِلَى وَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ)).

أَي: فَلَا تَتَحَوَّلُوا بِوُجُوهِكُمْ عَنِ جِهَةِ الْقِبْلَةِ أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُقْبَلُ بِوَجْهِهِ عَلَى الْمُصَلِّيِّ مَا دَامَ خَاشِعًا، فَإِذَا التَّفَتَ زَالَ الْخُشُوعُ وَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالصَّلَاةُ تَمْحُو الْخَطَايَا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا)). ﴿٤٢﴾

فَكَمَا يَتَدَنَسُ الْمَرْءُ بِالْأَقْدَارِ الْمَحْسُوسَةِ فِي بَدَنِهِ وَثِيَابِهِ، وَيُطَهَّرُهُ الْمَاءُ الْكَثِيرُ، فَكَذَلِكَ الصَّلَوَاتُ

تُطَهَّرُ الْعَبْدَ مِنْ أَقْدَارِ الذُّنُوبِ، حَتَّى لَا تُبْقِيَ لَهُ ذَنْبًا إِلَّا كَفَّرْتَهُ، إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكِبَائِرَ، كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ: مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ)).

وَالصَّلَاةُ رَاحَةٌ.

صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((يَا بَلَاءُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرْحَنَا بِهَا)).

فَإِنَّ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الصَّلَةِ بِاللَّهِ وَمُنَاجَاتِهِ مَا يَجْعَلُ الْقَلْبَ يَرْتَاحُ وَيَخْرُجُ مِنْ مَتَاعِبِ الدُّنْيَا إِلَى مَعِيَّةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ.

وَالصَّلَاةُ عَوْنٌ عَلَى تَحْمُلِ الشَّدَائِدِ وَمُوَاجَهَةِ الْمَصَاعِبِ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

أَي: يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَيْكُمْ بِالتَّزَامِ الصَّبْرِ وَأَدَاءِ الصَّلَاةِ؛ فَهِيَ عَوْنٌ لَكُمْ عَلَى عَظِيمِ الْأَعْمَالِ، مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ، وَعَلَى مَا يُصِيبُ الْعَبْدَ مِنْ مُصِيبَاتٍ.

وَالصَّلَاةُ هِيَ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثَبَّتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ)).

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى إِتْقَانِهَا وَحِفْظِهَا، وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ فِي جَمِيعِ

أَعْمَالِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ.

وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا)).

وَفِي ذَلِكَ حَتٌّْ عَلَى الْإِسْرَاعِ فِي أَدَائِهَا، وَفِي أَدَائِهَا أَوَّلَ الْوَقْتِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ يَعْرِفُ

حَقَّ اللَّهِ، وَيُحَافِظُهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِينَ يُضَيِّعُونَ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ فَقَالَ فِيهِمْ:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]، وَهُمْ الَّذِينَ

يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا.

وَأَدَاءُ الصَّلَاةِ جَمَاعَةً شَأْنُهُ عَظِيمٌ.

فَمِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْجَمَاعَةِ أَنَّهُ حَتٌّْ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَرَفْعِهَا وَعِمَارَتِهَا، وَالْمُرَابَطَةِ

فِيهَا وَالتَّعَلُّقِ بِهَا، وَرَتَّبَ عَلَى السَّيْرِ إِلَيْهَا أَنْ جَعَلَ خَطْوَةً تَمْحُو سَيِّئَةً، وَخَطْوَةً تَرْفَعُ دَرَجَةً،

كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَحَذَّرَ مِنَ التَّخَلُّفِ عَنْهَا.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ أَثْقَلَ

صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا،

وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بَيْوتَهُمْ بِالنَّارِ)).

وَلَا تَنْسَ - أَخِي الْمُسْلِمَ - أَنَّ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ هُوَ رُوحُهَا.

قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

فَالصَّلَاةُ سَهْلَةٌ وَخَفِيفَةٌ عَلَى مَنْ خَشَعَ فَخَضَعَ لِلَّهِ تَعَالَى وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ قَلْبُهُ، وَظَهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَى جَوَارِحِهِ، وَالْخَاشِعُونَ هُمُ الْمَوْقِنُونَ بِعَوْدَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وقال الله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

فَفَازَ وَظَفِرَ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاضِعُونَ، مُتَذَلِّلُونَ لِلَّهِ سَاكِنُونَ، مُتَدَبِّرُونَ لِمَا يَقُولُونَ فِيهَا.

وَالصَّلَاةُ هِيَ أَفْضَلُ مَا يَدَّخِرُهُ الْمُسْلِمُ لِآخِرَتِهِ.

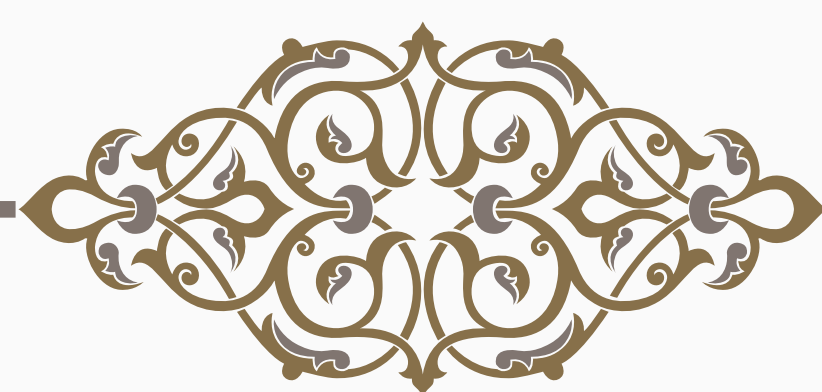
صَحَّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((رَكَعَتَانِ خَفِيفَتَانِ بِمَا تَحْقِرُونَ وَتَنْفَلُونَ يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ)).

فَعِنْدَمَا يَمُوتُ الْإِنْسَانُ يُدْرِكُ قِيَمَةَ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقِيقَتِهَا، فَيُدْرِكُ أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَزِيدُ ثَوَابَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا كُلِّهِ.

فَرَكْعَتَانِ يَسِيرَتَانِ فِي الْقِرَاءَةِ وَالْأَذْكَارِ، ((بِمَا تَحْقِرُونَ))، أَي: تَسْتَقِلُّونَ أَجْرَهُمَا، ((وَتَنْفَلُونَ))، أَي: تُصَلُّونَهَا تَطَوُّعًا لِلَّهِ، ((يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ)) وَكَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى قَبْرِ قَدِ دُفِنَ حَدِيثًا، وَالْمُرَادُ بِهِ: الْمَيِّتُ الَّذِي فِي الْقَبْرِ، فَأَجْرُ الرَّكْعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَى الْمَيِّتِ مِنَ الدُّنْيَا.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

للمزيد: تمهيدٌ في أهمية الصلاة - موسوعة الآداب الشرعية



المجلس السادس والعشرون

في ظلِّ الصَّدَقَةِ

الحمدُ لله الذي أمرَ بالصَّدَقَةِ، ووعدَ الخلفَ عليها معاشرَ المنفقينَ، فقال: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ^ط وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ الصَّدَقَةَ فِي الْإِسْلَامِ لَهَا فَضْلٌ عَظِيمٌ وَمَكَانَةٌ عَالِيَةٌ.

فَالصَّدَقَةُ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِ الْإِنْسَانِ بِاللَّهِ وَإِيْمَانِهِ بِالْجَزَاءِ عِنْدَ مَوْلَاهُ.

فإنَّ الْإِنْسَانَ بِطَبِيعَتِهِ يُحِبُّ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا، فَيَبْخُلُ بِهِ وَيَشُحُّ عَنِ انْفَاقِهِ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ وَطَمَعِهِ وَخَوْفِهِ مِنْ نَفَادِهِ.

لذا وَرَدَتِ النُّصُوصُ بِمَا يُزِيلُ هَذَا الْحِرْصَ وَالْخَوْفَ حَتَّى يُقْبَلَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ بِنَفْسٍ طَيِّبَةٍ وَحُسْنِ ظَنٍّ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ ذَلِكَ تَسْمِيَتُهَا قَرْضًا. وَالْقَرْضُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُرَدَّ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وَمِنْهَا إِخْبَارُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)) ﴿﴾ كَمَا رَوَى

مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَالصَّدَقَةُ لَا تَكُونُ سَبَبًا فِي نَقْصِ الْمَالِ، بَلْ تَزِيدُ أضعافَ مَا يُعْطَى مِنْهُ بِأَنْ يَنْجَبِرَ بِالْبِرْكَةِ، فِي النَّفْسِ أَوْ الْأَهْلِ، أَوْ فِي الْمَالِ ذَاتِهِ، وَهُوَ وَإِنْ نَقَصَ حِسًّا إِلَّا أَنْ فِي ثَوَابِهِ جَبْرًا لِنَقْصِهِ وَزِيَادَةً إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ.

وَجَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسْكًا تَلْفًا)).

فِيدَعُو أَحَدُهُمَا بِأَنْ يُعْطِيَ اللَّهُ لِلْمُتَصَدِّقِ خَلْفًا وَعِوَضًا عَمَّا أَنْفَقَهُ.

أَخِي الْمُسْلِمَ:

إِنَّ الْمَالَ فِي حَقِيقَتِهِ مِلْكٌ لِلَّهِ، وَهُوَ عِنْدَكَ أمانةٌ وَوَدِيعَةٌ يُخْتَبِرُكَ بِهَا اللَّهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْتَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى ظِلِّ يَاقِينٍ شَمْسَ ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ لِتَسْلَمَ مِنْ شِدَّةِ حَرَارَتِهَا وَوَهْجِهَا، فَتَكُونُ الصَّدَقَةُ سَبَبًا فِي إِظْلَالِكَ.

صَحَّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((كُلُّ امْرِئٍ فِي

ظِلُّ صَدَقَتِهِ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ)). ﴿٤٠﴾

وفي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ))، ﴿٤١﴾ وذكر منهم: ((وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ)).

فينبغي المُسَارَعَةُ إِلَى الْخَيْرَاتِ - ومنها الصَّدَقَةُ - خَاصَّةً فِي أَيَّامِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَمَنَّى وَقْتَ مَوْتِهِ مَنَحَهُ فُرْصَةً آخِرَةً قَبْلَ قَبْضِ رُوحِهِ لِيَتَصَدَّقَ.

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعَانِي مِنْ ضَيْقِ ذَاتِ الْيَدِ، فَلَا يَمْلِكُ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْحَصِرُ فِي بَدْلِ الْمَالِ فَقَطْ، وَإِنْ كَانَ هُوَ أَعْظَمَهَا لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَبِهِ قِوَامُ الْحَيَاةِ، بَلْ ثَمَّةَ أَنْوَاعٌ أُخْرَى مِنَ الصَّدَقَاتِ فِيهَا إِحْسَانٌ لِلخَلْقِ، وَقَدْ سَمَّاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقَةً.

فَمِنَ الصَّدَقَاتِ: تَقْدِيمُ عَوْنٍ، أَوْ إِزَالَةُ حَاجَةٍ، أَوْ كَفُّ أذى، أَوْ تَخْفِيفٌ مِنْ عِبٍّ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ)).

ومن ذلك:

البِشَاشَةُ وَالتَّبَسُّمُ فِي وَجْهِ الْآخِرِينَ.

ثَبَّتَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ)). أي: بوجهٍ بشوشٍ مُتَبَسِّمٍ.

وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ)).

سَوَاءٌ كَانَتْ طَيِّبَةً فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، كَالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ، أَوْ فِي حَقِّ النَّاسِ. فَالْإِنْسَانُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ كَلِمَةٍ صَادِرَةٍ مِنْ قَلْبٍ يُحِبُّ لَهُ الْخَيْرَ؛ كَلِمَةٍ تُذْهِبُ ضَيْقَ صَدْرِهِ، أَوْ تُدْخِلُ السُّرُورَ فِي نَفْسِهِ.

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَقِيتَ صَدَقَةٌ.

صَحَّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((تَسْلِيمُهُ عَلَى مَنْ لَقِيتَ

صَدَقَةٌ. ﴿٤﴾

ففي السَّلامِ على أخيه المُسلمِ إعلانٌ بِمُسالَمَتِهِ فلا يَحْشى مِنْهُ سِوَاءًا.

والأمرُ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَأَمْرٌ

بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ)). ﴿٥﴾

لَأَنَّ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ إِصْالًا لِلْخَيْرِ إِلَى النَّاسِ، وَفِي النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ كَفٌّ لِلشَّرِّ عَنْهُمْ.

وَمُعَاوَنَةُ الْآخِرِينَ صَدَقَةٌ.

فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَتُعِينُ

الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ)). ﴿٦﴾

فِيُعِينُ أَخَاهُ عَلَى رُكُوبِ دَابَّتِهِ وَغَيْرِهَا مِنْ وَسَائِلِ النُّقْلِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الرُّكُوبَ بِنَفْسِهِ، أَوْ

يُعِينُهُ بِوَضْعِ مَتَاعِهِ عَلَيْهَا، فَتلك صَدَقَةٌ.

وَتَبَّتْ عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((كُلُّ

مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنْاءٍ

أَخِيكَ)). ﴿٧﴾ أي: تُفْرِغُ الْمَاءَ مِنْ دَلُوكَ فِي وَعَاءٍ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ.

وَسُقِيَا الْمَاءَ صَدَقَةً.

صَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَالشَّرْبَةُ مِنْ الْمَاءِ يَسْقِيهَا صَدَقَةً)).

وَسُقِيَا الْمَاءَ تُعَدُّ مِنْ أَفْضَلِ الصَّدَقَاتِ.

وَالْإِرْشَادُ إِلَى الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ.

فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَدُلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)).

أَيُّ: دَلَّاهُ وَالْإِرْشَادُ إِلَيْهِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ.

وِإِزَالَةٌ أَوْ تَنْحِيَةٌ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ.

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ)).

أَيُّ: إِبْعَادُ كُلِّ مَا يُؤْذِي النَّاسَ فِي طَرِيقِهِمْ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَوْكٍ أَوْ غَيْرِهِ.

وَجِمَاعُ الزَّوْجِ لَزَوْجَتِهِ صَدَقَةٌ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهَا فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ

لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهَا أَجْرٌ)).

فَهُوَ بِذَلِكَ يُلَبِّي حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ أَهْلِهِ الْغَرِيزِيَّةَ بِالْحَلَالِ، فَيُعِفُّ نَفْسَهُ وَإِيَّاهُمْ عَنِ الْحَرَامِ.

وَاللُّقْمَةُ يَضَعُهَا الرَّجُلُ فِي فَمِ زَوْجَتِهِ صَدَقَةٌ.

فَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةُ تَرْفَعُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ)).

وَهُوَ عَمَلٌ يَسِيرٌ لَكِنَّهُ يُلَبِّي حَاجَةَ الْمَرْأَةِ فِي حُبِّ الْإِهْتِمَامِ بِهَا وَإِظْهَارِ الْمَوَدَّةِ لَهَا.

فِيَا مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ مَالَهُ لِلتَّصَدُّقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكَ ابْتِسَامَةً، وَبَدَلُ سَلَامٍ، وَكَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ، وَحُسْنُ خُلُقٍ. فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكَ إِسْدَاءً نَفْعٍ أَوْ مَعَاوَنَةٍ، أَوْ إِزَالَةَ ضَرَرٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَكُفَّ عَنْهُمْ أَذَاكَ؛ فَهُوَ صَدَقَةٌ.

فَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمَسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ)).

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا،

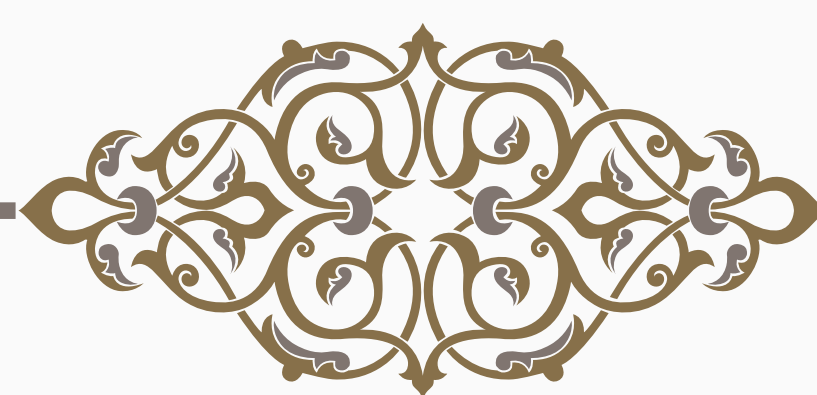
وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ،

وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

للمزيد: آدابُ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ - موسوعة الآداب الشرعية



المجلس السابع والعشرون

زكاة الفطر

الحمد لله الذي شرع لنا ما يسدُّ النَّقْصَ، ويُطَهِّرُ النَّفْسَ، وصَلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وأصحابه وآله الذين طَهَّرَهم وأذهبَ عنهم الرَّجْسَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد شُرِعَتْ زكاةُ الفِطْرِ في نهايةِ شهرِ رَمَضَانَ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِمَّا اعْتَرَى صِيَامَهُ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفَثِ.

كما ثَبَتَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ((فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاةَ الفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفَثِ، وطُعْمَةً لِلْمَساكِينِ)).

واللَّغْوُ: هو الكلامُ الباطِلُ، والرَّفَثُ: الكلامُ الفاحِشُ القبيحُ.

فهي ترفعُ الخللَ الواقعَ في الصَّومِ؛ لأنَّ الحَسَناتِ يُذهِبْنَ السيِّئاتِ.

ولهذا قال بعضُ العلماءِ: إِنَّ صَدَقَةَ الفِطْرِ لِلصَّائِمِ كَسَجْدَتِي السَّهْوِ لِلصَّلَاةِ، فكأنَّها جُبرانٌ

لِلصَّائِمِ لما دَخَلَهُ مِنَ النَّقْصِ بِحُصُولِ الآثامِ مِنَ اللَّغْوِ والرَّفَثِ والكَذِبِ والغيبَةِ والنَّمِيمَةِ

وأكلِ الشُّبُهاتِ وغيرِ ذلك، فُجِعِلَتْ هذه الصَّدَقَةُ مُكفِّرَةً لها ومُتَمِّمَةً لِلصَّيَامِ جابِرةً له،

كالسُّجُودِ لِلسَّهْوِ.

والزكاة من فضائلها تطهيرُ المسلم من ذنوبه.

قال الله تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

أي: خُذْ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ ذُنُوبِهِمْ، وَتُنَمِّي أَمْوَالَهُمْ، وَتَزِيدُ فِي أَخْلَاقِهِمُ الْحَسَنَةَ، وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةَ، وَفِي ثَوَابِهِمُ الدُّنْيَوِيَّ وَالْآخِرَوِيَّ.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ أي: وادعُ للمسلمين عند أخذك صدقاتهم؛ لأنَّ دُعَاكَ لَهُمْ طُمَآنِينَةٌ، وَرَاحَةٌ لِقُلُوبِهِمْ.

ثمَّ قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

أي: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنَ التَّائِبِينَ، وَيَقْبَلُ الصَّدَقَاتِ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا كَانَتْ طَيِّبَةً خَالِصَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ

فَصِيلَهُ. ﴿﴾

فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الصَّدَقَاتِ إِلَّا الَّتِي كَانَتْ مِنْ كَسْبٍ حَلَالٍ، وَتِلْكَ الصَّدَقَةُ الطَّيِّبَةُ يُتَقَبَّلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ كَرَامَةً لَهَا، وَكِلْتَا يَدَيْهِ تَعَالَى يَمِينٌ مَبَارَكَةٌ، ثُمَّ يُنَمِّيهَا وَيُضَاعِفُ أَجْرَهَا لِتَثْقُلَ فِي الْمِيزَانِ، كَمَا يُرَبِّي الْمَرْءُ الْمَرْءَ الصَّغِيرَ مِنَ الْخَيْلِ الَّذِي يَحْتَاجُ لِلرَّعَايَةِ وَالتَّرْبِيَةِ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ حَجْمًا وَثِقَلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَتَبَتَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ)). ﴿﴾

فِي أَخْرَاجِ الصَّدَقَاتِ يَمْحُو الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَيُزِيلُهَا.

وَالزَّكَاةُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

فَعَلَى قَوْلِ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ ﴿تَزَكَّى﴾ أَي: أَدَّى زَكَاةَ الْفِطْرِ، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ أَي: ذَكَرَ اللَّهَ فِي طَرِيقِ الْمُصَلَّى إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْإِمَامُ، وَالصَّلَاةُ هِيَ صَلَاةُ الْعِيدِ.

وَمِنْ حِكْمِ مَشْرُوعِيَّةِ زَكَاةِ الْفِطْرِ كَذَلِكَ:

١ - أَنَّهَا طُعْمَةٌ لِلْمَسَاكِينِ؛ لِيَسْتَغْنُوا بِهَا عَنِ السُّؤَالِ يَوْمَ الْعِيدِ، وَيَشْتَرِكُوا مَعَ الْأَغْنِيَاءِ فِي

فَرِحَةِ الْعِيدِ.

٢- أَنَّهَا زَكَاةٌ لِلْبَدَنِ؛ حَيْثُ أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَامًّا مِنَ الْأَعْوَامِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالْبَقَاءِ؛ وَلَا جِلِّ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلصَّغِيرِ الَّذِي لَا صَوْمَ عَلَيْهِ، وَالْمَجْنُونِ، وَمَنْ عَلَيْهِ قِضَاءٌ قَبْلَ قِضَائِهِ.

٣- أَنَّهَا مِنْ شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الصَّائِمِينَ بِالصِّيَامِ.

٤- حَصُولُ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ بِدَفْعِهَا مُسْتَحَقِّهَا فِي وَقْتِهَا الْمَحْدَدِ.

وزكاة الفطر واجبة على كلِّ مسلمٍ مَلَكَ ما يَزِيدُ عَنْ قُوْتِهِ وَقُوْتِ مَنْ يَلْزَمُهُ، سَوَاءً كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، حُرًّا أَوْ عَبْدًا.

ففي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ((فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى،

وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ)).

وَتَجِبُ عَلَى الْأَبِ عَنْ أَوْلَادِهِ الصَّغَارِ الَّذِينَ لَا أَمْوَالَ لَهُمْ، إِذَا أَمَكَنَهُ ذَلِكَ.

وَلَا تَجِبُ عَنِ الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

وَالْأَفْضَلُ إِخْرَاجُهَا بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْعِيدِ وَقَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ.

وَيَجُوزُ تَعْجِيلُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ فَقَطْ.

وَتُخْرَجُ مِنْ قُوْتِ الْبَلَدِ، كَالْتَّمْرِ وَالْأُرْزِ، وَالذَّقِيقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ نَفُوسَ الْمُسْتَحَقِّينَ إِنَّمَا

تَتَشَوَّفُ لِمِثْلِهِ فِي يَوْمِ الْعِيدِ.

وَالْقَدْرُ الْوَاجِبُ فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ، وَهُوَ مَا يُقَارِبُ: ٣ كِيلُو جَرَامَاتٍ.

وَلَا تُجْزَى الْقِيَمَةُ فِي زَكَاةِ الْفِطْرِ.

وَيَجُوزُ لِمَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ أَنْ يُخْرِجَهَا مُجْزَأَةً، بَعْضُهَا إِثْرَ بَعْضٍ.

وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُخْرِجَهَا بِطِيبِ نَفْسٍ، وَأَنْ يَتَخَيَّرَ لَهَا صِنْفًا طَيِّبًا غَيْرَ رَدِيءٍ، وَيُقَدِّمَهَا

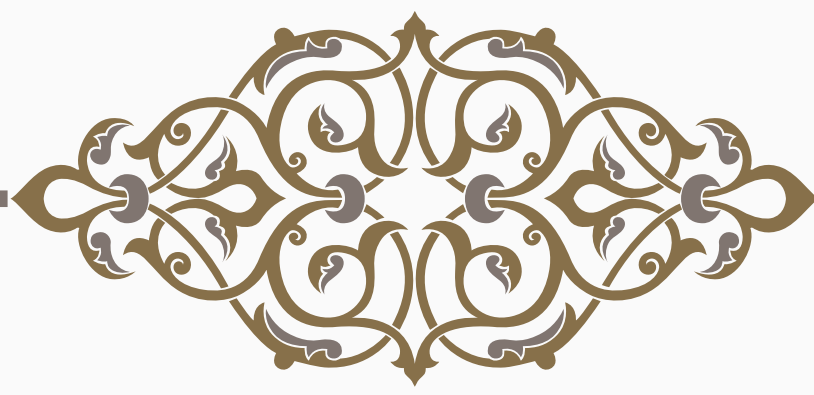
لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا دُونَ مَنْ أَوْ أَدَى، وَيَسْتَشْعِرَ حِكْمَتَهَا، وَيَحْتَسِبَ الْأَجْرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا،

وَلَا يُؤَدِّيَهَا وَكَأَنَّهَا مُجَرَّدُ عَمَلٍ اعْتَادَ عَلَيْهِ، بَلْ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِفَوَائِدِهَا، وَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي

أَعْطَاهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَمَنْعَ غَيْرِهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

[للمزيد: زكاة الفطر - الموسوعة الفقهية](#)



المجلس الثامن والعشرون

ماذا بعد رمضان؟

الحمد لله الحي القيوم، الذي جعل أحب الأعمال إليه ما يدوم، وصلى الله وسلم على محمد الذي كان إذا عمل عملاً أثبتته، والقائل: ((أحب العمل إلى الله أدومه)).

أما بعد:

فها هي أيام رمضان قد انقضت فينبغي للمسلم أن يسأل ربه قبول عمله في نهاية هذا الشهر الفضيل.

وقد كان دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وينبغي أن يخاف ويخشى ألا يقبل منه ما عمله في رمضان.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١].

أي: الذين يعطون ما أعطوا من زكوات وصدقات وغير ذلك، والحال أن قلوبهم خائفة من رجوعهم إلى ربهم، وبعثهم يوم القيامة للحساب والجزاء، فيخافون ألا يتقبل منهم..

أولئك يُسابقونَ في عملِ الطَّاعاتِ.

أيُّها الإخوةُ:

إِنَّ مِنْ عَلامَةِ قَبولِ الطَّاعَةِ أَنْ تُوصَلَ بِطاعَةٍ بَعَدَها، وَعَلامَةُ رَدِّها أَنْ تُوصَلَ بِمَعْصِيَةٍ عَقِبَها.

والعاقِلُ لا يَبني بَيتاً ثَمَّ يَهْدِمُهُ، أو يُنشيءُ مَشرُوعاً ثَمَّ يَهْمِلُهُ، فلا يُعقلُ أن يهدمَ المسلمُ ما بناه في رمضانَ بِمُجرَدِ انْتِهاءِ الشَهرِ فعلى المسلمِ أن يُحافظَ على مَكتسباتِهِ، مِنْ الأَعمالِ الصَّالِحَةِ في رمضانَ، هَذِهِ المَكتسباتِ التي تَبقى لهُ أَجرًا مُدَّخَرًا، وتكونُ لهُ يَومَ لِقائِ اللَّهِ ذُخْرًا.

ولِيحذِرُ أَنْ يَكونَ مِثْلَ المِراةِ التي قالَ اللَّهُ تَعاليَ عنها: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكاثِها﴾ [النحل: ٩٢]، يعني: لا تكونوا كالمرأة الغازلة التي تغزل الصوفَ، ثمَّ إذا غزلتَهُ وأتقنتَهُ نَقَضتَهُ ومَرَّقَتَهُ! بل دُوموا على ما أنتم عليه. ففيه دَلالةٌ على أَنَّ الإنسانَ يَنبغي أن يُحافظَ على ما اعتادَهُ مِنَ الخَيرِ.

وإذا كانَ الإنسانُ يَبنِي ثَمَّ يَهْدِمُ، والعَمرُ يَمضي، فَذلكَ يَعمي أَنَّ المَوتَ قد يَأتي وهو خاوٍ ومُفلسٌ تَمامًا. وهنا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعاليَ لِتَقريبِ ذلكَ المعنى، فقال: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ وَجَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وَأَعنابٍ تَجري مِنْ تَحْتِها أَلأنهَرُ لَهُ وَفِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَأَصابَهُ الكِبرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضَعَفاءُ فَأَصابَها إِعصارٌ فِيهِ نارٌ فَأَحترَقَتْ^ق كَذلكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿البقرة: ٢٦٦﴾.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: (قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ وَجَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿البقرة: ٢٦٦﴾) قالوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ: قولوا: نَعْلَمُ أَوْ لَا نَعْلَمُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ أَخِي، قُلْ وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَمَلٍ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ. ﴿

فَالآيَةُ تُصَوِّرُ رَجُلًا لَهُ جَنَّةٌ مُثْمِرَةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، فَكَبِرَ فِي السِّنِّ، وَأَوْلَادُهُ صِغَارٌ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الْكَسْبِ، فَأَصَابَ تِلْكَ الْجَنَّةَ رِيحٌ عَاصِفَةٌ فِيهَا نَارٌ، فَاحْتَرَقَتْ، فَفَقَدَهَا وَهُوَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا؛ فَالْفَاقَةُ فِي الشَّيْخُوخَةِ أَضْعَبُ، وَفِي هَذَا الْأَثَرِ تَفْسِيرٌ لِهَذَا الْمَثَلِ؛ فَضَرْبُ لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعَثَ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي فَأَضَاعَ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ بِذَلِكَ، ثُمَّ أَحْتَاجَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا فِي أَشَدِّ أَحْوَالِهِ، فَلَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ أَيُّ رَصِيدٍ مِنْهَا.

ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نَهَايَةِ هَذَا الْمَثَلِ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

فَلَوْ تَصَوَّرَ كُلُّ عَاقِلٍ هَذَا الْمَثَلَ، وَتَأَمَّلَهُ كَمَا يَنْبَغِي، لَمْ يُقَدِّمِ عَلَى مَا فِيهِ مَضْرُوتُهُ وَنَدَامَتُهُ، وَلَمَّا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ إِحْرَاقَ أَعْمَالِهِ، وَإِضَاعَةَ أَجْوَرِهَا.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ:

إِنَّ مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْحِفَاطِ عَلَى الْمَكْتَسَبَاتِ الرَّمَضَانِيَّةِ مَعَ الْاسْتِمْرَارِ عَلَيْهَا وَالزِّيَادَةَ مِنْهَا: شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نِعْمَةِ إِدْرَاكِ رَمَضَانَ وَالتَّوْفِيقِ فِيهِ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٧].

وَمِنْ تَمَامِ الشُّكْرِ اسْتِدَامَةُ الطَّاعَةِ، وَالثَّبَاتُ عَلَيْهَا، وَتَجْوِيدُهَا، فَيَزِيدُ إِحْسَانًا فَوْقَ إِحْسَانٍ، وَطَاعَةً بَعْدَ طَاعَةٍ.

وَلَقَدْ حَثَّ الشَّارِعُ عَلَى الْاسْتِمْرَارِ فِي طَرِيقِ الْاسْتِقَامَةِ بَعْدَ رَمَضَانَ.

وَمِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ اسْتِصْحَابُهَا بَعْدَهُ: التَّقْوَى.

فَمِنْ أَهَمِّ مُنْجَزَاتِ رَمَضَانَ الَّتِي شُرِعَ صِيَامُهُ مِنْ أَجْلِهَا: أَنْ يَسْتَصْحِبَ الْعَبْدُ حَالَةَ التَّقْوَى فِي الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ عُمُرِهِ.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ اسْتِصْحَابُهَا بَعْدَ رَمَضَانَ: الصَّيَامُ.

فَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)). ﴿٤﴾

فَمَنْ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ كَامِلًا، ثُمَّ صَامَ بَعْدَهُ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ مُتَوَالِيَاتٍ أَوْ مُتَفَرِّقَاتٍ؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا يُعَادِلُ صِيَامَ الْعَامِ كُلِّهِ، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَعَلَيْهِ فَرَمَضَانُ بِمَنْزِلَةِ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ تَمَامُ السَّنَةِ.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ اسْتِصْحَابُهَا بَعْدَ رَمَضَانَ: قِيَامُ اللَّيْلِ.

فَالْمُسْلِمُ الَّذِي قَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ كَامِلًا أَيْعَجزُ أَنْ يَقْتَطِعَ مِنْ لَيْلِهِ شَيْئًا وَلَوْ يَسِيرًا لِيُصَلِّيَ فِيهِ رَبَّهُ، وَيَتْلُوَ كَلَامَهُ؟!!

فَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ)). ﴿٥﴾ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا.

وَمِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ اسْتِصْحَابُهَا بَعْدَ رَمَضَانَ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرُهُ.

فَفِي رَمَضَانَ أَقْبَلَ الْمُسْلِمُ عَلَى الْقُرْآنِ، تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا، فَحَرِيٌّ أَنْ لَا يَهْجُرَهُ أَبَدًا حَتَّى لَا يَدْخُلَ

تَحْتَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿٦﴾

[الفرقان: ٣٠].

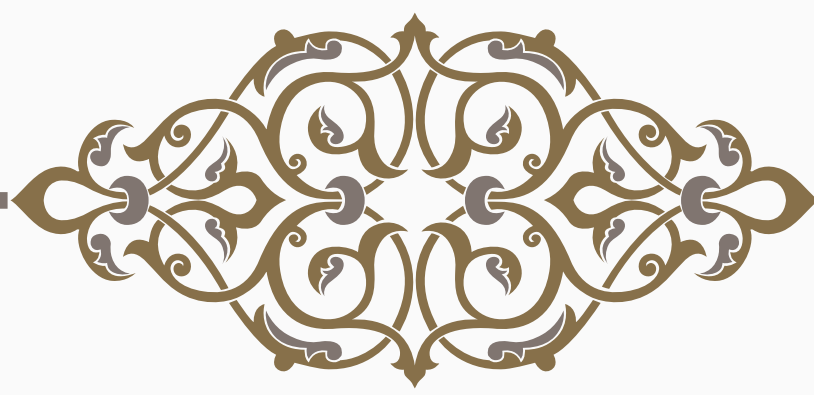
وَهَجْرُهُ أَنْوَاعٌ، مِنْهَا: هَجْرُ سَمَاعِهِ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ، وَهَجْرُ تِلَاوَتِهِ، وَهَجْرُ تَدْبِيرِهِ، وَهَجْرُ الْعَمَلِ بِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَهَجْرُ تَحْكِيمِهِ.

وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُسَارِعَ فِي الْخَيْرَاتِ بَعْدَ رَمَضَانَ وَأَنْ يَلْتَمِسَ أَسْبَابَ الْمَغْفِرَةِ.

فَمِنَ الْأَعْمَالِ أَعْمَالٌ يَسِيرَةٌ جِدًّا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا فِي مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ إِذَا احْتَسَبَهَا صَاحِبُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ)).

فَرَحْمَةُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، وَفَضْلُهُ عَظِيمٌ.. أَلَا فَتَعَرَّضُوا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - لِنَفْحَاتِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ رَمَضَانَ وَفِي جَمِيعِ أَزْمَانِكُمْ كَمَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى مِنْ شَهْرِكُمْ.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ،
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَالْمَدَاوِمَةَ عَلَى الطَّاعَاتِ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



المجلس التاسع والعشرون

عيد الفطر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحِيمِ الْغَفُورِ، شَرَعَ الْأَعْيَادَ وَجَعَلَهَا مَوَاسِمًا لِلْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، فَحَقُّ عَلَيْنَا حَمْدُ اللَّهِ وَشُكْرُهُ، وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِهِ الشَّاكِرِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ وَالنَّعْمَةِ الْمُسَدَاةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاه.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْأَعْيَادَ هِيَ مَوَاسِمُ الْفَرَحِ، وَإِنَّمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِتَمَامِ نِعْمَتِهِ وَكَمَالِ رَحْمَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]، وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِيدَيْنِ فِي السَّنَةِ، وَعِيدًا فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ.

أَمَّا عِيدُ الْأُسْبُوعِ: فَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِكَمَالِ فَرِيضَةِ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُسْلِمِينَ الصَّلَاةَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا كَمَلْتَ أَيَّامَ الْأُسْبُوعِ وَأَكْمَلُوا صَلَاتَهُمْ فِيهَا، شَرَعَ لَهُمْ عِيدًا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ عَلَى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَشَرَعَ لَهُمُ الْخُطْبَةَ؛ تَذْكَيرًا بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَحَثًّا لَهُمْ عَلَى شُكْرِهَا، وَجَعَلَ شُهُودَ الْجُمُعَةِ بِأَدَائِهَا كَفَّارَةً لِدُنُوبِ الْجُمُعَةِ كُلِّهَا وَزِيَادَةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكِبَائِرَ.

وَأَمَّا عِيدَا السَّنَةِ: فَهِيَ عِيدُ الْفِطْرِ وَعِيدُ الْأَضْحَى.

فَعِيدُ الْأَضْحَى لِلْمُسْلِمِينَ يَكُونُ عِنْدَ تَمَامِ حَجِّهِمْ بَعْدَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، وَهُوَ يَوْمُ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ، فَجَعَلَ اللَّهُ عَقِبَ ذَلِكَ عِيدًا.

وَعِيدُ الْفِطْرِ يَكُونُ بَعْدَ تَمَامِ صِيَامِهِمُ الَّذِي افْتَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُلِّ عَامٍ، فَإِذَا أَمْتُوا صِيَامَهُمْ أَعْتَقَهُمْ مِنَ النَّارِ، فَشَرَعَ لَهُمْ عَقِبَ ذَلِكَ عِيدًا.

وَقَدْ سَمَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْعِيدِ بَعْدَ رَمَضَانَ يَوْمَ الْفِطْرِ.

وَهَكَذَا ثَبَتَ عَنْ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تَسْمِيَةَ هَذَا الْعِيدِ يَوْمَ الْفِطْرِ.

فَإِنَّ الْفِطْرَ أَبْرَزُ حَدَثٍ فِي الْعِيدِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ صِيَامِ رَمَضَانَ. كَمَا أَنَّ أَبْرَزَ حَدَثٍ فِي الْعِيدِ الثَّانِي هُوَ ذَبْحُ الْأَضْحَى، فَسُمِّيَ يَوْمِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ النَّحْرِ.

وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَخْرُجُ إِلَى مُصَلَّى الْعِيدِ بَعْدَ انْتِهَاءِ رَمَضَانَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَنَاوَلَ تَمْرَاتٍ يُفِطِرُ عَلَيْهِنَّ فِي صَبَاحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

فَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَغْدُو

يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمْرَاتٍ)).

قِيلَ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ: بَيَانُ الْمُبَادَرَةِ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِوُجُوبِ الْفِطْرِ بَعْدَ وُجُوبِ الصَّوْمِ، فَأَصْبَحَ مِنَ السُّنَّةِ الْإِفْطَارُ عَلَى التَّمْرِ إِنْ وُجِدَ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ.

وفي روايةٍ صحيحةٍ زيادةً: ((ويأكلهنَّ وتراً)).

فَيَكُونُ عَدَدُ التَّمَرَاتِ الَّتِي يُفْطِرُ عَلَيْهَا وَتَرًا، فَيَأْكُلُ تَمْرَةً، أَوْ ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ سَبْعًا، وَهَكَذَا.

ولذلك جاءَ الحُكْمُ المُؤَكَّدُ والقاطِعُ بتَحْرِيمِ صِيَامِ هَذَا اليَوْمِ.

فَرَوَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: ((إِنَّ هَذَيْنِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِيَامِهِمَا: يَوْمَ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ، وَالْآخِرُ يَوْمٌ تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ)).

وَيُسْتَحَبُّ خُرُوجُ الْجَمِيعِ، حَتَّى الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ، وَالْحَيْضِ.

رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: ((كُنَّا نُؤَمِّرُ أَنْ نَخْرُجَ يَوْمَ العِيدِ حَتَّى نُخْرِجَ الْبِكْرَ مِنْ خِدْرِهَا، حَتَّى نُخْرِجَ الْحَيْضَ، فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ، فَيُكَبَّرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدُعَائِهِمْ، يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ اليَوْمِ وَطُهْرَتَهُ)).

فَأَمَرَ كُلُّ الْمُسْلِمِينَ بِالْخُرُوجِ إِلَى مُصَلَّى العِيدِ، حَتَّى الْحَائِضُ أَثْنَاءَ عُذْرِهَا، غَيْرَ أَنَّ الْحَيْضَ يَجْلِسْنَ خَلْفَ النَّاسِ، وَيُكَبَّرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدُعَائِهِمْ؛ رَجَاءً حُصُولِهِنَّ عَلَى الْبَرَكَةِ وَالْأَجْرِ، وَالطَّهَّارَةِ مِنَ الذُّنُوبِ فِي هَذَا اليَوْمِ.

وَيُسْتَحَبُّ كَذَلِكَ مُخَالَفَةُ الطَّرِيقِ، فَيُذْهَبُ إِلَى مُصَلَّى الْعِيدِ مِنْ طَرِيقٍ، وَيُرْجَعُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمَ عِيدِ خَالَفَ الطَّرِيقَ)).

قِيلَ الْحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَعْمَّ أَصْحَابَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّرُورِ بِهِ، أَوْ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ فِي الْإِسْتِفْتَاءِ، أَوْ التَّعَلُّمِ وَالْإِقْتِدَاءِ، أَوْ الصَّدَقَةِ أَوْ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِصِلَةِ الْأَرْحَامِ الَّذِينَ لَيْسُوا فِي طَرِيقِهِ الْأَوَّلِ، أَوْ لِتَخْفِيفِ الزَّحَامِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ لِكَيْ يَشْهَدَ لَهُ الطَّرِيقَانِ، أَوْ لِيَغِيظَ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودَ، أَوْ لِيُرْهِبَهُمْ بِكَثْرَةِ مَنْ مَعَهُ، أَوْ لِإِتِّفَاعٍ بِتَغْيِيرِ الْحَالِ إِلَى الْمَغْفِرَةِ وَالرِّضَا، أَوْ أَنَّهُ أَرَادَ تَكْثِيرَ الْأَجْرِ بِتَكْثِيرِ الْخُطَا فِي الذَّهَابِ إِلَى الْمُصَلَّى وَالرُّجُوعِ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَيُسَنُّ التَّكْبِيرُ فِي عِيدِ الْفِطْرِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فِي الْآيَةِ: الْأَمْرُ بِالتَّكْبِيرِ بَعْدَ إِكْمَالِ عِدَّةِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

وَيَبْدَأُ وَقْتُ التَّكْبِيرِ: بِغُرُوبِ شَمْسِ لَيْلَةِ الْعِيدِ.

ويُنْتَهِي: بِصَلَاةِ الْعِيدِ. فَلَيْسَ فِي هَذَا الْعِيدِ تَكْبِيرٌ مُقَيَّدٌ عَقِبَ الصَّلَاةِ كَمَا هُوَ فِي عِيدِ الْأَضْحَى.

أَمَّا صِيغَةُ التَّكْبِيرِ:

فَلَا تَلْزَمُ صِيغَةً مَعِيْنَةً لَهُ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَقُولَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَاللهُ الْحَمْدُ.

وَيُسْنُ الْجَهْرُ بِالتَّكْبِيرِ لِلرِّجَالِ.

وَذَلِكَ مِنْ إِظْهَارِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَفِيهِ تَذْكَيرٌ لِلْآخَرِينَ، وَإِغَاظَةٌ لِأَعْدَاءِ الدِّينِ.

وَيُسْتَحَبُّ الْغُسْلُ وَالتَّطْيِبُ لِحُضُورِ صَلَاةِ الْعِيدِ، وَأَنْ يُخْرَجَ الرَّجُلُ مُتَجَمِّلاً وَمُتَزَيِّناً لَهَا عَلَى أَحْسَنِ هَيْئَةٍ.

وَيَنْبَغِي الْحِرْصُ عَلَى غَضِّ الْبَصْرِ.

وَكَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ يَحْذَرُونَ مَعْصِيَةَ اللهِ فِي يَوْمِ الْعِيدِ خَاصَّةً، وَيُحْذَرُونَ مِنْهَا، فَلْيَحْرِصِ الْمُسْلِمُ وَالْمُسْلِمَةُ عَلَى غَضِّ الْبَصْرِ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْمُصَلَّى وَالرُّجُوعِ مِنْهُ.

وَلَا بِأَسَ بِالتَّهْنِئَةِ بِالْعِيدِ.

فَثَبَتَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا التَّقَوُا يَوْمَ الْعِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَقَبَّلَ اللهُ مِنَّا وَمِنْكَ).

وَيَجُوزُ التَّبَسُّطُ فِي الْمَبَاحَاتِ، كَلَعِبِ الْغِلْمَانِ، وَغِنَاءِ الْبَنَاتِ الصَّغِيرَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. فِي الصَّحِيحِينَ عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحَى، وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ -أَي: بِنْتَانِ صَغِيرَتَانِ- تُغْنِيَانِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعَّهَا يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ)).

وَتَبَّتْ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهَا، فَقَالَ: قَدْ أَبَدَلَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا خَيْرًا مِنْهَا: يَوْمَ الْفِطْرِ، وَالْأَضْحَى)).

فِي ذَلِكَ أَنَّ الشَّرْعَ قَدْ أَبَاحَ اللَّعِبَ وَاللَّهُوَ فِيهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ فِي الدِّينِ فُسْحَةً لِلنَّاسِ، وَلَكِنْ بِأُمُورٍ لَا تُغْضِبُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

إِنَّ مَشَاعِرَ الْمُسْلِمِ فِي نِهَائِهِ رَمَضَانَ وَإِنْ انْتَابَهَا شَيْءٌ مِنَ الْحُزَنِ عَلَى فِرَاقِهِ وَفِرَاقِ أَجْوَائِهِ الْإِيمَانِيَّةِ وَبَرَكَاتِهِ وَخَيْرَاتِهِ، إِلَّا أَنَّ مَشَاعِرَ الْفَرَحَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ يَنْبَغِي أَنْ تَطغى بِنِعْمَةِ إِتْمَامِ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادَةِ فِيهِ.. وَهَذِهِ الْفَرَحَةُ تُظْهِرُ فِي الْعِيدِ بِذِكْرِ اللَّهِ شُكْرًا عَلَى النُّعْمَةِ، وَتَهْنِئَةَ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَالْفِطْرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَالتَّوَسُّعِ فِي بَعْضِ الْمَبَاحَاتِ بِاعْتِدَالٍ، مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ التَّهَادِي وَالتَّزَاوُرِ وَالْخُرُوجِ إِلَى الْمُتَنَزَّهَاتِ.

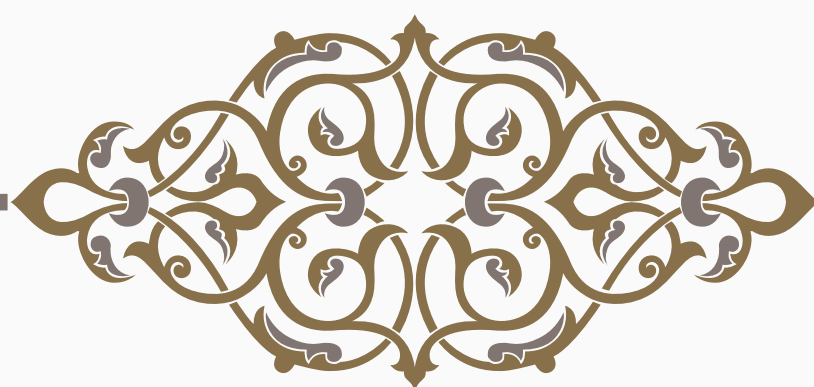
فَمَشَاعِرُ الْارْتِيَاكِ وَالْأَنْسِ وَالْفَرَحِ وَالْمَوَدَّةِ هِيَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعُمَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ قَاطِبَةً، وَيَشْعُرُ بِهَا كُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا فِي نَفْسِهِ، وَيُظْهِرَهَا لِغَيْرِهِ.

إِنَّهُ الْفَرَحُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَجْعَلُ كُلَّ مُسْلِمٍ يَهْتَفُ بِصَوْتٍ عَالٍ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. تَقَبَّلَ اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

[للمزيد: آدابُ العيدين - موسوعة الآداب الشرعية](#)

[للمزيد: صلاة العيدين - الموسوعة الفقهية](#)



المجلس الثالثون

وداعاً رمضان

الحمد لله على التمام، الحمد لله على الصيام والقيام، وصلى الله على نبينا محمد خير من صلى وصام، وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد:

سَلامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ كُلِّ أَوَانٍ
سَلامٌ عَلَى شَهْرِ الصَّيَامِ فَإِنَّهُ
لِئِنْ فَنَيْتَ أَيَّامَكَ الْغُرُّ بَغْتَةً
عَلَى خَيْرِ شَهْرٍ قَدْ مَضَى وَزَمَانٍ
أَمَانٌ مِنَ الرَّحْمَنِ أَيُّ أَمَانٍ
فَمَا الْحُزْنَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ بِفَانٍ

ها هو شهر رمضان قد رحلت أيامه وانقضت ساعاته، وانقسم الناس ما بين مقبول ومطروود؛ فأما المقبول فهنيئاً له على الصيام والقيام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]، فليصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه، وعلامة هذا القبول أن يستقيم على التقوى، ويتمسك بها بعد رمضان؛ فإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.

وأما المطروود - ونعوذ بالله أن نكون من المطروودين - فهو الذي أضاع هذه الفرصة فما تغير في رمضان، وما ازداد قُرْباً مِنَ الرَّحْمَنِ.

قال بعض العلماء: متى يُغفرُ لمن لا يُغفرُ له في هذا الشهر؟! ومتى يصلحُ من لا يصلحُ في رمضان؟! كلُّ ما لا يُثمرُ من الأشجارِ في أوانِ الثَّمارِ فإنه يُقطعُ، ثمَّ يوقدُ في النَّارِ.

أخي المسلم:

إنَّ العمرَ سريعُ الانقضاءِ، وإذا جاءتِ النِّهايةُ وانقضى الأجلُ فلا يستطيعُ أحدٌ إعادته، قال اللهُ تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، وقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

فبادِرْ بالعودةِ إلى اللهِ، والتَّوبَةِ على تفریطِكَ في رَمَضَانَ ما دام في عُمركَ بَقِيَّةٌ، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

أيها الأحبة:

لقد انقضى رَمَضَانُ وقد تَقَلَّبَ العَبْدُ فِيهِ بَيْنَ عِبَادَاتٍ شَتَّى: عِبَادَةٍ بِالصَّلَاةِ بِفَرَائِضِهَا وَنَوَافِلِهَا، وَمِنْهَا قِيَامُ رَمَضَانَ، وَعِبَادَةٍ بِالصِّيَامِ، ثُمَّ عِبَادَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللهِ، وَدُعَاءٍ وَصَدَقَاتٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ فِي نِهَايَةِ الشَّهْرِ زَكَاةُ الْفِطْرِ.

فَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُسْلِمُ ذَلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ عَبْدٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُبُودِيَّةً دَائِمَةً تَشْمَلُ حَيَاتَهُ كُلَّهَا ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فالغاية من خلقه هي عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَضَعَ هَذِهِ الْغَايَةَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ؛ حَتَّى لَا يَنْصَرِفَ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ يَشْغَلُهُ عَنْهَا، وَهُوَ أَنَّهُ عَبْدٌ لِلَّهِ، لَا يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّهُ، وَلَا يُقَدِّمُ وَلَا يُؤَخِّرُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ، فَهُوَ فِي اسْتِسْلَامٍ تَامٍّ لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَا يَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الْعُبُودِيَّةِ وَهَذَا الْاسْتِسْلَامِ الْمَطْلُوقِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا صِيَامَهُ، ثُمَّ يَتَّبِعُهُ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا صِيَامَهُ؛ لِأَنَّهُ يَوْمٌ عِيدٍ، فَهِيَ يَوْمَانِ مُتَجَاوِرَانِ أَحَدُهُمَا صَوْمُهُ فَرِيضَةٌ، وَالْآخَرُ صَوْمُهُ مُحَرَّمٌ.

إِنَّهَا الْعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَرْتَنَا يَا رَبِّ فَاثْمَثَلْنَا أَمْرَكَ، وَنَهَيْتَنَا يَا رَبِّ فَاثْتَهَيْتَنَا عَنْ نَهْيِكَ، فَالْحُكْمُ لَكَ وَحَدَكَ ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وَالْأَمْرُ لَكَ وَحَدَكَ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

إِنَّ مِنْ عَلَامَاتِ سَعَادَةِ الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ إِذَا ابْتَلَاهُمْ صَبَرُوا، وَإِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ شَكَرُوا،

وإذا أذنبوا استغفروا؛ وذلك أن العبد لا يخلو من أحوالٍ ثلاثة: نِعَمٍ مِنَ اللَّهِ تَرَادَفٌ عَلَيْهِ، فالواجبُ عليه تجاهها الشُّكْرُ، وَمِحْنٍ مِنَ اللَّهِ يَبْتَلِيهِ بِهَا، فالواجبُ عليه فيها الصَّبْرُ، وَذَنْبٍ يَقَعُ فِيهِ الْعَبْدُ، ففرضه فيه الاستِغْفَارُ.

أَمَّا الشُّكْرُ: فَلِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الشُّكْرُ عَلَى أَنْ وَفَّقَنَا لِإِتْمَامِ فَرِيضَةِ الصِّيَامِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أَي: فَلَعَلَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الشَّاكِرِينَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَتَرْكِ مَعَاصِيهِ وَمَحَارِمِهِ، وَحِفْظِ حُدُودِهِ.

أَمَّا الصَّبْرُ فَقَدْ خَرَجَ الْمُسْلِمُ الَّذِي صَامَ رَمَضَانَ صَوْمًا حَقِيقِيًّا، وَقَدْ تَدَرَّبَ عَلَى الصَّبْرِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ: صَبْرًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مِنْ صِيَامٍ وَقِيَامٍ وَزَكَاةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَصَبْرًا عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ حَيْثُ أَمْسَكَتِ الْجَوَارِحُ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ أَمْسَكَتِ عَنِ قَوْلِ الزُّورِ، وَعَنِ الْجَهْلِ وَالرَّفَثِ وَالصَّخَبِ، بَلْ يَصِلُ الصَّبْرُ إِلَى غَايَتِهِ حِينَ تُوَمَّرُ بِالْكَفِّ عَمَّنْ شَتَمَكَ وَسَبَّكَ، وَأَنْ تَقُولَ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ. وَالنَّوْعُ الْأَخِيرُ: صَبْرٌ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ مِنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ. ثُمَّ بَعْدَ الصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَالصَّبْرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ بِتَرْكِ الْمُحْظُورِ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ تَقْصِيرٍ فِي طَاعَةٍ أَوْ فِعْلِ مَعْصِيَةٍ.

إخواني الكرام:

وينبغي في ختام الشهر أن نحاسب أنفسنا، فإن وجدنا خيراً فلنداوم عليه ولنزدد منه، وإن وجدنا قصوراً أو تفریطاً استغفرنا الله وتبنا إليه، وعقدنا العزم أن نري الله من أنفسنا خيراً.

ولئن انتهى رمضان فالأعمال الصالحة ينبغي ألا تنقطع والعبادة لله ينبغي أن تستمر، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

فاستمروا على ما أنت عليه من الخير - أيها الأخ الحبيب - ولا تتقل من عز الطاعة إلى ذل المعصية، ومن أنوار الشكر والعرفان إلى ظلمات الجحود والنكران، فبتغير حالك من السعادة إلى الشقاء، ومن رضا الله إلى غضبه وسخطه، ومن توالي النعم وحلول البركات إلى ضد هذه الأحوال. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. فإذا غيروا غير عليهم؛ جزاء وفاقاً.

نسأل الله أن يغفر لنا تقصيرنا في رمضان وأن يتقبل منا صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا، وأن يعيد علينا رمضان أعواماً عديدةً.

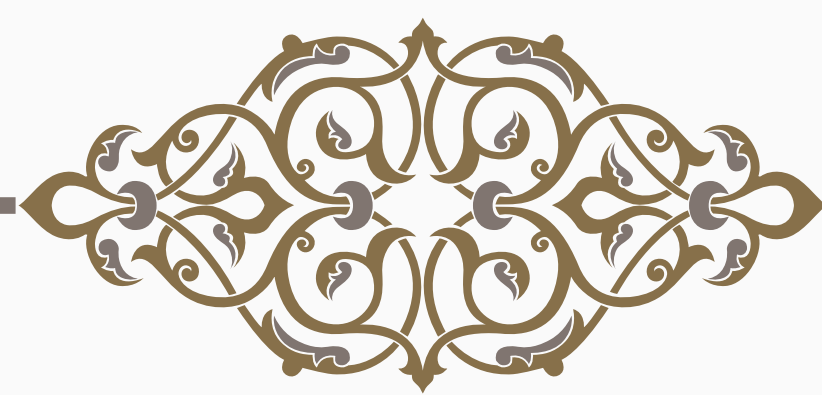
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ

مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٨٦﴾.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا،

أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



تطبيقات الجوال الخاصة بمؤسسة الدرر السنيت



👉 اضغط على أي أيقونة لتحميل التطبيق مجاناً

حسابات التواصل الاجتماعي لمؤسسة الدرر السنيت



👉 اضغط على أي أيقونة للاشتراك